

الادعاءات الإيرانية في الخليج العربي

أصول المشكلة وتطورها التاريخي *

للدكتور جمال زكريا قاسم

أستاذ مساعد بكلية الآداب - جامعة عين شمس

أثار احتلال إيران لجزر الخليج الثلاث وهي جزيرة بوموسى وطنب الكبرى والصغرى في ٣٠ نوفمبر ١٩٧١ رد فعل عنيف لدى الرأى العام العربى ، ظهر ذلك واضحا فى المظاهرات الكثيرة التى اجتاحت منطقة الخليج ، وهاجم فيها المتظاهرون بعض المؤسسات الإيرانية . وفى الدول العربية تفاوتت أسدءاء الاحتجاج لعل أشدها كان قرار مجلس الثورة الليبى بتأميم المصالح البريطانية البترولية فى ليبيا ، ثم قرار الحكومة المراقية بقطع العلاقات الدبلوماسية مع إنجلترا التى اعتبرت متواطئة مع إيران (١) .

كما أصدرت كثير من الحكومات العربية بيانات احتجاج طالبت فيها بانسحاب القوات الإيرانية من جزر الخليج الثلاث . ولما كان احتلال إيران لهذه الجزر

* قدمت هذه الدراسة إلى المؤتمر الدولى للتاريخ الذى انعقد فى بغداد فى الفترة من ٢٥ إلى ٣٠ مارس ١٩٧٣ .

(١) أكد احتلال إيران لجزر الخليج الثلاث بما لا يقبل الشك وجود تواطؤ بريطانى إسرائى . ويقرر كثير من المعلقين السياسيين أن بريطانيا بهذا التواطؤ لم تحترم التزاماتها إزاء إمارتى رأس الخيمة والشارقة ، التى تبتهما هذه الجزر ، خاصة وأن للماهدات البريطانية ، مع هاتين الإمارتين ، لم تكن قد ألغيت بمد من الناحية الرسمية . ولزبد من التفاصيل يمكن الرجوع إلى :

Anthony, John Duke, The union of the Arab Amirat-
es, Middle East Journal, summer 1972 pp. 271 ff.

حدث قبل يومين اثنين من إعلان قيام دولة اتحاد الإمارات العربية في الخليج فقد أدى ذلك إلى إثارة مشاعر الحزن والاستياء التي كادت تغطي على الاحتفال بهذا للولود الجديد ، كما أدى أيضاً إلى إثارة مزيد من الشكوك في حقيقة النوايا الإيرانية التي ظهرت في السنوات الأخيرة وعلى وجه التحديد في عام ١٩٧٠ أقرب إلى الإقرار بوجهة النظر العربية والاعتراف بالأمر الواقع فيما يختص بمروبة البحرين التي تخلت إيران عن ادعاءاتها التقليدية فيها مما مهد لاستقلال هذه الإمارة (١) ، حتى لقد ظهرت عدة تكهنات في أن يكون تخلي إيران بهذه الصورة المفاجئة عن ادعاءاتها القديمة ليس إلا مراوغة من جانبها للتخلص من المواقف التي كانت تضعها حكومة البحرين وغيرها من إمارات الخليج بالنسبة لتماثلها مع إيران ، وبالتالي تستطيع بطريقة (مشروعة) أن تزيد من تعميق نفوذها الاقتصادي حتى نحين لها فرصة جديدة لمواصلة أطماعها في المنطقة تماونها

(١) ليس من شك في أن إصرار شعب البحرين كان العامل الأول الذي أدى إلى هذه النتيجة ولكن يمكن أن نضيف إلى ذلك الضغط الذي ملوسته الولايات المتحدة الأمريكية على الحكومة الإيرانية لتفصح المجال لخططاتها المستقبلية والتي من أبرزها اتخاذ البحرين كقاعدة بحرية للأسطول الأمريكي في منطقة الخليج ، وتأكيدها لذلك وقعت بين البحرين والولايات المتحدة الأمريكية في ٢٣ ديسمبر ١٩٧١ اتفاقية نصت على تسليم قاعدة الجفير البحرية إلى الأسطول الأمريكي لمدة ثلاثين عاماً ، يضاف إلى ذلك التنازل الاقتصادي الأمريكي الذي تشهده البحرين — وغيرها من إمارات الخليج — في الوقت الحاضر بما في ذلك تأسيس البنوك المالية بالإضافة إلى المصالح البترولية وغير البترولية .

راجع صدد ذلك : المخططات الأنجلو أمريكية في الخليج العربي - وزارة الإعلام العراقية ١٩٧٢ ، وكذلك صلاح العقاد : معالم التفسير في دول الخليج العربي ص ١٤٣ وما بعدها .

في ذلك بعض المخططات الامبريالية وبصفة خاصة الولايات المتحدة الأمريكية .
وليس من شك في أن الأمور متروكة هنا لمدى الدعم العربي ، بالإضافة إلى حيوية
العلاقات والارتباطات الدولية في تأمين البحرين وغيرها من احتمال تجديد الإطماع
الإيرانية مما يدفعنا إلى التأكيد هنا بأن حصول الإمارات العربية على استقلالها
السياسي لا يعنى تخلصها من السيطرة الاستعمارية التي قد تظهر في شكل تسلط
اقتصادي أو استثمار جديد ، هذا بالإضافة إلى المحاولات الإيرانية التي بقيت -
ولا تزال - تؤكد وجودها في بعض مناطق الخليج . وما يزيد المشكلة تعقيداً
أن إيران ليست وحدها وإنما تساندها شركات النفط الإنجليزية والأمريكية العاملة
في المنطقة . ولذا يتحتم على السياسة العربية أن تعالج التطلعات الإيرانية في الخليج
باعتبارها قضية عربية - في الوقت الذي لا يصرفها ذلك عن الحركة العنصرية
الكبرى - خاصة وأن إيران حاولت استغلال فرصة إشغال القوى العربية بالصراع
العربي الاسرائيلي بعد نكسة ١٩٦٧ في إحراز مكاسب لها يساعدها على ذلك بعد
للنطقة ، بالإضافة إلى الفراغ الذي كان متوقفاً حدوثه عند انسحاب القوات البريطانية
من الخليج في عام ١٩٧٠ فضلاً عن التفكك الذي ظهر واضعاً في الوحدات
السياسية - قبل قيام دولة اتحاد الإمارات العربية - بالإضافة إلى الخلافات
الإقليمية القائمة بين السعودية وأبو ظبي حول واحة البويرمي أو بين قطر وأبو ظبي
حول خور المديد وبين البحرين وقطر حول ملكية الزبارة .

وما يستلفت النظر أن عمليات التسلل الإيراني لا زالت قائمة في كثير من مناطق
الخليج كما أن هناك إذاعة إيرانية ناطقة باللغة العربية - وهي إذاعة الأهواز - مخصصة
لمنطقة الخليج ، كما تقوم البنوك الإيرانية ومن أشهرها بنك ملي إيران وبنك الصادرات
الإيراني بنشاطات ملحوظة في تمويل التجار الإيرانيين بصورة تمكنهم من منافسة التجار
العرب ، وإلى عهد قريب كان النشاط الإيراني مركزاً على منطقة الساحل العماني بما

في ذلك من تفاعل ثقافي واقتصادي، بالإضافة إلى تقديم الخدمات الصحية والاجتماعية التي كانت تقتصر إليها هذه المنطقة، كما استقر كثير من الإيرانيين في دى آمليين الوصول إلى مستوى أفضل من العيش من ذلك الذي يتمتعون به في بلادهم كما أخذوا يحلون محل العرب الذين بدأت هجراتهم الواضحة إلى حقول النفط في الكويت والسعودية وغيرها. كما ظهرت في الكويت والبحرين جاليات إيرانية كبيرة المدد لها وزنها الاقتصادي (١). وما يذكر أن إيران كانت إلى عهد قريب تعامل الوطنيين في كثير من إمارات الخليج باعتبارهم رعايا تانابيين لها وذلك بارغام الراغبين في الذهاب إلى المعتبات الشيعية المقدسة في إيران على حمل وثائق سفر إيرانية من القنصلية الإيرانية في البصرة حيث لم يكن لإيران تمثيل سياسي أو قنصلي في الخليج. كما كانت السلطات الإيرانية إلى عهد قريب أيضاً لا تعترف بطوابع البريد الصادرة في البحرين وتعتبر الطوابع البحرانية للاحقة على الرصاصات الصادرة من البحرين إلى إيران كأنها لم تكن، وإن كان يلاحظ أن الحكومة الإيرانية أخذت موقفاً أقل تشدداً مع إمارات الخليج الأخرى خاصة إمارات الساحل العماني التي وضع أنها كانت تسمى إلى صداقة حكاهما (٢) وفي الوقت الذي زحف فيه تيار القومية العربية على الخليج العربي، نتيجة الانقلاب العنفي الذي ترتب على استئثار النفط، وما تبعه من تدفق العمال العرب على المنطقة، بالإضافة إلى ما ترتب على النكبة الفلسطينية في عام ١٩٤٨ من تدفق آلاف من اللاجئين الفلسطينيين بدت الأطماع الإيرانية في تمسك إيران بتسمية الخليج بالفارسي على أمل أن إصرارها على هذه التسمية يكسبها حقاً شرعية فضلاً عن أن ذلك يرضى أحلامها التوسعية بأن

Hay, Rupert : The Persian gulf States p. I22 (١)
Washington, 1959.

Ibid, p. I49.

(٢)

يصبح الخليج بحيرة وسط امبراطورية فارسية. ومن الطبيعي أن ذلك كان دافعاً إلى إثارة المشاعر العربية وبالتالي تأكيد الدوائر العربية - الرسمية وغير الرسمية - على عروبة الخليج. كما أن الباحثين العرب وبعضاً من الباحثين الأجانب أخذوا يتغللون عن التسمية الفارسية للخليج، من ذلك الباحث الإنجليزي رودريك أوين Owen الذي تحدث طويلاً عن غرابة تسمية الخليج بالخليج الفارسي مؤكداً أنه من المستحيل أن يفكر قادم على الكويت أو قطر أو البحرين في ممان غير عربية وأن كل شيء في رمال هذه الأقاليم وفي مياه خليجها الخضراء، فضلاً عن القومية العربية النامية، كل ذلك يؤكد تماماً عروبة هذه المنطقة، كذلك أكد الكاتب الفرنسي جان جاك بيربي على عروبة الخليج وإن سمى كتابه الذي صدر في عام ١٩٥٩ بالخليج الفارسي اتباعاً للتسمية التي كانت شائعة عند صدور كتابه هذا (١).

الادعاءات الإيرانية القديمة في الخليج :

ويستعي الدارس لمنطقة الخليج العربي قدم الادعاءات الإيرانية كما يجد أيضاً العديد من الاعتداءات الإيرانية التي تعرضت لها المنطقة في الماضي أو الحاضر.

وعلى الرغم من أن النصوص المكتشفة تاريخ الخليج العربي في المصور القديمة إلا أنه

CF. Roderickowen, The golden Buble, Arabian (١) gulf Documentary pp. 13—16 London 1961 see. Also Jan Jack Bereby, Le golfe Persique, Paris 1959

وكذلك سيد نوفل : الأوضاع السياسية في إمارات الخليج وجنوب الجزيرة العربية

ص ١١٦-١١٧ .

من المعروف أن الفرس نجحوا في بعض الفترات خاصة في القرن السادس ق . م في السيطرة على بعض القواعد الرئيسية الواقعة على الساحل الغربي للخليج في عمان والبحرين، ومع ذلك فإن السيطرة الفارسية لم تستمر بصورة مباشرة إذ كانت تترك في أحيان كثيرة للقبائل المحلية أو الحكام المحليين فضلاً عن أن القبائل العربية استطاعت في كثير من فترات التاريخ القديم أن تظهر إلى مجال السيادة والتفوق في الشواطئ الغربية بل والسواحل الشرقية التي تطل عليها إيران ذاتها . وتحدثنا بعض الروايات بصد ذلك عن هجرة كبيرة قامت من الجزيرة العربية ومن اليمن على وجه التحديد تزعمها مالك بن فهم وهو أحد رؤساء الأزد (عرب الجنوب) متجهة إلى عمان حيث دار صراع بين العرب والفرس انتهى بانتصار العرب وطردهم الفرس من عمان (١) أما من بقي منهم فمقد تمايش سلباً مع الهجرات العربية التي أخذت تندفق على المنطقة واستمر أمرهم قائماً حتى أجبروا على الرحيل نهائياً في البواكير الأولى من صدر الإسلام . وقد أعقب ذلك الانتصار الذي أحرزه العرب هجرة اليمنيين بشكل كبير إلى عمان ويقال أنها هي التسمية التي سموا بها ذلك الأقليم نسبة إلى أن منازلهم كانت على واد بمأرب يقال له عمان فشبهوها به في حين كان الفرس يطلقون عليها مزونا . (٢)

ويختلف المؤرخون على تحديد هجرة مالك بن فهم الذي نجح في أن يكون أول حاكم عربي على عمان بعضهم ذكر أنها كانت في القرن السابع ق . م بينما يرى البعض

(١) Perceval, Essai sur L'Histoire des Arabes vol. 1 p. 202.

(٢) حميد الدين الساملي . تحفة الأعيان بسمير آمان ج ١ ص ٥ انظر أيضاً كشف الغمة لأحط علماء الإباضية ص ٣٢ .

الآخر أنها كانت في القرن الرابع قبل الميلاد . حقيقة أن العرب كانوا قد وصلوا إلى عمان قبل هذه الهجرة الكبيرة ولكنهم لم يستطيعوا أن يكسبوا البلاد الملاحع والسمات التي يحملونها، وإنما ظل الفرس يعتبرون عمان جزءاً من إمبراطوريتهم إلى أن كان دخول مالك بن فهم بن معن وبمن أتى بعده من العرب فاستطاعوا أن يقضوا على كل أثر فارسي وإعطاء البلاد صيبتها وملاعها العربية . وقد ذكر وثائق بومباي بصدد ذلك أن مالك بن فهم هو أول عربي دخل عمان قبل الميلاد بأربعة قرون (١) وقد نزل مع قومه في بهلي ثم في جملان من مدن عمان الداخلية ، وهناك استطاع التغلب على الجيش الفارسي ثم قام بتحصين الرستاق ، وقد أفاضت انتصاراته أحلام العرب فأخذوا يتوافدون على عمان من اليمن حتى أصبحوا غالية السكان وتعاقب ملوك من نسله ولم يتمكن الفرس من استعادة سيطرتهم إلى أن صارت عمان إلى آل الجبلندي ، في زمن الأسرة الساسانية ، التي عقدت هدنة معهم نصت على أن يحتفظ الفرس بحماية لهم في عمان قدرها أربعة آلاف جندي مع عامل فارسي فنزل هؤلاء المواطنين وبقى آل الجبلندي في الداخل (٢) . ويتضح لدينا من ذلك أنه على الرغم من للد العربي الظاهر على سواحل الخليج والذي ازداد انسياها منذ القرن الثاني ق . م نظراً لاقطع الشديد الذي ألم بالداخل إلا أن هذا للد العربي لم يلبث أن تراجع حيناً قامت الأمبراطورية الساسانية حول السنوات الأولى من القرن الثالث

(١) Bombay government, selection from the Records of Bombay govt., 1856 C.F. Extracts from Brief Notes containing Historical & other information connected with the province of oman, Muscat and adjoining countries. R.A. Taylor pp.1 — 40.

(٢) الشباعي وناجي عساف : عمان .. تاريخ .. يتكلم ص ص ٩٥ / ٩٨

دمشق ١٩٦٣ .

اليلادي، وإن لم يلبث أن عاد إلى استئناف مجراه الطبيعي بعد انحلال الامبراطورية الساسانية .

أما عن جزر البحرين — وهي المركز الرئيس الثاني على الساحل الغربي من الخليج — فيوجد اختلاف في الرأي عن أصل المستوطنين الأول فيها . ويؤكد كثير من الكتاب الايرانيين أن السكان الأصليين فرس، ولكنهم بعد إقامة طويلة استطاعوا أن يستحوذوا على لهجة السكان الذين يقطنون السواحل القريبة منهم، في حين تؤكد المصادر العربية القديمة أن سكان البحرين عرب ينحدرون أصلاً من قبيلة عمود العربية الذين طردهم سبأ بن حير من اليمن في حوالي الاف الثانية ق . م فأتجهوا إلى جزيرة أوال وهو الاسم القديم للبحرين (١) وما أوال إلا إسم لمنم كانت تبعده قبيلة بكر ابن وائل (٢) والجدير بالذكر أن الجغرافيين العرب كانوا يطلقون إسم البحرين على الشاطئ الممتد من كاظمة شمالاً إلى عمان جنوباً . وذكر ياقوت الحموي بصدر ذلك أن البحرين إسم جامع لبلاد على ساحل بحر الهند بين البصرة وعبان (٣) . كما قرر القلقشندي أن عمان والبحرين كانتا مقاطعة واحدة في عهد الدولة العباسية وأن عمان قاعدة البحرين بمفهومها الجغرافي الواسع (٤) .

الخليج العربي في العصر الإسلامي :

يتضح لدينا مما سبق عرضه أن السيادة الفارسية على الخليج العربي في عصر ما قبل الإسلام كانت سيادة غير واضحة كما أنه لم يتحقق لها صفة الاستمرار فضلاً عن

(١) السويدي : سبائك الذهب ص ٦ انظر أيضاً :

Bombay govt, op; cit. pp. 27 - 29.

(٢) محمود بهجت سنان : البحرين درة الخليج العربي ص ١٣ - ١٤ - ٢١

بنداد ١٩٦٣ .

(٣) ياقوت الحموي . معجم البلدان ج ٢ ص ٧٢ / ٧٣ .

(٤) القلقشندي : صبح الأعشى ج ٥ ص ٥٤ / ٥٥ .

أن النعموس يكتنفها في نواح كثيرة ، ومن ناحية أخرى أن العرب والفرس تبادلوا
السيادة على سواحل الخليج في كثير من فترات التاريخ القديم ولكن الأمر الذي
لاشك فيه أنه في خلال العصر الإسلامي، الذي سنتفق على تحديده من القرن السابع
للميلادى حتى أواخر القرن الخامس عشر، تحدث بشكل لا يمكن إنكاره للشخصية العربية
والإسلامية للخليج والحقيقة أن العرب استطاعوا منذ بداية العصر الإسلامي تأكيد
الشخصية العربية للخليج ساعدهم على ذلك الهجرات العربية الكبيرة التي
اندفعت من الجزيرة العربية إلى سواحل الخليج الغربية والشرقية هذا فضلاً
عن المعارك الحربية الكثيرة التي خاضها العرب ضد الفرس ويمكن أن نشير
بمحدد ذلك إلى معركة ذات السلاسل (٦٣٤م) التي دارت قرب موقع الكويت
الحالية في منطقة كاظمة التي هي الآن من أعمال الكويت . وكانت هذه المعركة بين
القائد الفارس هرمز والقائد لعرب خالد بن الوليد ، وكان انتصار العرب في هذه
للمعركة سبباً لاختضاعهم العراق وفتحهم لبلاد فارس . كما بنى العرب - بعد انتصارهم
في معركة القادسية - مواضع حربية في سهول عربستان ، كل موضع يسمى خوز
ولذلك أطلق الفرس على هذه المنطقة اسم خوزستان أى بلاد القلاع والحصون، وعلى
الرغم من أن كثيراً من المصنفين العرب احتفظوا بالتسمية الفارسية للخليج أو كما كان
يطلق عليه اسم خليج المعجم في كثير من المصنفات العربية في العصر الإسلامي، فلا بد
ذلك تأكيد الشخصية الفارسية أو الهجومية للخليج بدليل أن كثيراً من أولئك
المصنفين أنفسهم من أكد أنه ليس في الخليج شيء فارس إلا اسمه، وإنما من المرجح
أن تكون التسمية الفارسية للخليج هي التسمية التي شاعت استمراراً للتسمية الإغريقية
للخليج وترجع هذه التسمية إلى حملة الاسكندر الأكبر إلى الهند الذي كان له فضل
الكشف الأول عن شواطئ الخليج ففي أثناء عودته من الهند وجه قائده البحري
نياركوس Nearchus إلى استطلاع شواطئ الخليج (٣٢٤ م) فتم له اكتشاف

الساحل الشرقي ولو قسدر لقواد الإسكندر اكتشاف سواحل الخليج العربية قبل
اكتشافهم لسواحل الشرقية لتغيرت التسمية بطبيعة الحال (١). ولكن لا يعني هذا
أن كل المصنفين العرب قد افروا هذه التسمية إذ أن المتبع للمصنفات العربية
الإسلامية يلاحظ وجود تسميات عربية للخليج من ذلك ما ذكره ياقوت الحموي
وغيره من أصحاب التأليف العربية الإسلامية من خليج البصرة ومكة خليج عمان .

وطيلة القرون السبعة التي سبق أن حددنا بها العصر الإسلامي، وهو العصر الذهبي
للملاحة العربية في الخليج العربي والمحيط الهندي والبحار الشرقية عموماً، ظل الخليج
يستقبل افواجا لا تسكد تنقطع من الهجرات القادمة إليه عن طريق البحر أو عبر
الصحراء وعلى الرغم مما ترتب على ذلك من وجود عناصر متعددة إلا أن العصر العربي
كان له التفوق دائماً كما ظلت الثقافة ولغة التعامل والتجارة هي اللغة العربية (٢) وكان
نما أعان على تفوق النفوذ العربي في الخليج طيلة العصر الإسلامي تركيز الملاحين
العرب على الخليج واستخدامه طريقاً للوساطة التجارية بين أوروبا والشرق على خلاف
الفرس الذين اقتصرُوا في وسطانهم التجارية على طرق القوافل البرية عبر فارس وآسيا
الصفري باعتبارهم شعباً يسكن المناطق الداخلية (٣) .

استمر الخليج محتفظاً بسمائه ومقوماته العربية طيلة العصر الإسلامي وهو
العصر الذي شهد تفوقاً في القوى للملاحة والتجارة العربية ليس في الخليج العربي

(١) عبد الحميد زايد : الخليج العربي عبر التاريخ القديم ، بحث منشور في

« جامعة السكوت والمجتمع » ص ١٢٧ وما بعدها ١٩٩٦ / ١٩٦٧ .

(٢) جمال زكريا قاسم : الملاحة العربية في الخليج العربي في عصر التوسع
الاستعماري الأول (دراسة تحت النشر) ، انظر أيضاً روبرت لاندن : عمان منذ ١٨٥٦
مسيراً ومسيراً .

(٣) لوريمر : دليل الخليج - القسم التاريخي ج ١ ص ٣ .

فحسب وإنما في بحار الشرق بصفة عامة (١) إلى أن أخذت هذه القوى تصطب بالتعزق
 اللينف الذي حدث نتيجة الزحف الاستعماري على بحار الشرق والذي استعمله
 البرتغاليون في أعقاب نهضتهم الملاحية والاستكشافية السكبرى والتي ترتب عليها
 أحكام سيطرتهم على المنافذ العربية التي كانت تمر منها تجارة الشرق إلى أوروبا في
 البحر الأحمر والخليج العربي وبالإضافة إلى ذلك كان للأسلوب الاحتكاري اللينف
 الذي طبقه البرتغاليون في سيطرتهم على بحار الشرق وأساليبهم القاسية بما تضمنته من
 حرق السفن وإغراقها وتعذيب بحارتها أكثر كيز في حرمان القوى العربية والإسلامية
 من ازدهارها الملاحى السابق (٢) خاصة وأن السيطرة البرتغالية استمرت قائمة في
 الخليج منذ بداية القرن السادس عشر إلى لادى حق منتصف القرن السابع عشر أى
 ما يقرب من قرن ونصف قرن من الزمان . وقد ترتب على عنف السيطرة البرتغالية
 إنكماش واضع في موجة للد العربي (٣) في الوقت الذي استفاد فيه الفرس من
 معاودة التطلع إلى الخليج بحكم الصداقة والتحالف اللذان ربطا بينهم وبين البرتغاليين
 خاصة في المراحل الأولى من عمليات التقدم البرتغالى ، ولكن الصداقة الفارسية
 للبرتغالية لم تستمر طويلا وذلك بنجاح الانجليز في مصادقة شاه فارس والوقيمة

-
- (١) راجع في ذلك فضلو حوراني، للملاحة العربية في المحيط الهندي، وكذلك
 آدم متز : الحضارة الإسلامية ج ٢ ص ٤٢٩ / ٤٤٣ .
 (٢) زين الدين : تحفة المجاهدين في بعض أحوال البرتغاليين - نشر دافيد
 لويز ص ٤٥

David Lopes : Historia des Portugueses No Malabar
 Lisbon 1898

- (٣) انظر مقدمة الدكتور أحمد عزت عبد السكريم لكتاب الخليج العربي
 ١٨٤٠ - ١٩١٤ للدكتور جمال زكريا قاسم .

بينه وبين البرتغاليين ثم في مساعدتهم له على طردهم من كثير من موانئ الخليج وجزره، وفي عام ١٦٢٤ حدث هجوم انجليزى فارس مشترك على هرمز التي كانت واحدة من أهم وأقوى المعاقل البرتغالية عند الدخول الجنوبي للخليج (١). ولم تبد ساطات شركة الهند الشرقية البريطانية في سورات — والتي كانت مسئولة بحكم ارتباطها بالتجار بالخليج عن السياسة البريطانية في المنطقة منذ بداية القرن السابع عشر الميلادي — أية معارضة للتدخل الفارسي في الخليج جنوبا وغربا، ويعني ذلك أن السياسة البريطانية هي التي مكنت لفارس تأكيد سيطرتها على سواحل الخليج خلفا للسيطرة البرتغالية، وكان يدونها إلى ذلك دوافع كثيرة منها أنه لم تقم في منطقة الخليج في خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر تنظيمات عربية قوية تستلقت نظر السياسة البريطانية وبالتالي تدفعها إلى الدخول في علاقات سياسية واقتصادية معها بالإضافة إلى أن الوقت لم يكن قد حان بعد لكي تدخل بريطانيا في علاقات سياسية أو استراتيجة مع المنطقة بصورة مباشرة إذ أن ذلك قد تأخر إلى السنوات الأخيرة من القرن الثامن عشر، والأهم من ذلك أن شركة الهند الشرقية البريطانية كانت تمارس احتكارات اقتصادية في فارس وخاصة في مقاطعاتها الجنوبية (٢) وبالتالي كان الإنجليز حريصين على تأكيد السيادة الفارسية في الخليج على اعتبار

Foster, England's Quest in Eastern trade (١)
p. 79, London 1933

Cf. Saldanha, East India Companies Connexion (٢)
with the Persian Gulf 1600-1800, selection From
Bombay State papers, see Report on the Commerce
of Arabia & Persia by Samuel Manisty & Harford
Jones, 1790.

ما سيحققونه نتيجة لذلك من فوائد اقتصادية ، وبالفعل فإن الصداقة الفارسية الإنجليزية ساعدت الإنجليز إلى حد كبير على القضاء على منافسة الهولنديين الذين حاولوا أن يدلوا بدلوهم في المنافسات التجارية أو الاستعمارية التي احتدمت في الخليج ، والتي ظهرت واضحة منذ بداية النصف الثاني من القرن السابع عشر للميلاد (١) .

وبينا اتجهت فارس — باعتمادها على المساعدة الإنجليزية — إلى إحلال سيادتها على أنقاض السيطرة البرتغالية في السواحل الشرقية للخليج ، ركز البرتغاليون عملياتهم العسكرية على السواحل الغربية ، كما اعتمدوا اعتماداً كبيراً على قلعهم الحصينة في مسقط التي أنشأها البوكر بعد احتلاله لمسقط في عام ١٥٠٧ .

وباستناد من الروايات للنوافرة لدينا أن سقوط هرمز في أيدي الفرس في عام ١٦٢٤ كان له أثر كبير في إعلان عرب عمان استقلالهم عن مملكة هرمز حيث بايع المانيون إماماً لهم من أسرة اليمارية وهو الإمام ناصر بن مرشد في عام ١٦٢٤ الذي كان عليه أن يتصدى للبرتغاليين الذين ركزوا سيطرتهم على سواحل عمان واعتمدوا على قلعهم المنيع في ميناء مسقط ، ومن هنا كان تحرير مسقط هو الهدف الأساسي الذي اتجه إليه المانيون . وقد بذل الإمام ناصر بن مرشد وخلفاؤه من بعده جهوداً ضخمة في بناء قوة بحرية كبيرة إدراكاً منهم أن الحرب بينهم وبين البرتغاليين هي حرب بحرية في الدرجة الأولى ، وبعد مناوشات كثيرة قاموا بها تمكنوا في النهاية من تدبير هجوم كاسح على مسقط استسلم على أثره البرتغاليون ١٦٥٨ ورضخوا لمدة شروط من بينها هدم قلاعهم في مسقط وصور وقربات . والاعتراف بحرية التجارة لمختلف الأجناس في الخليج العربي والمحيط الهندي ، وهكذا كان

Wendel Philips Oman ... A History p. 91 London (١) 1967.

وكذلك لوريمر : دليل الخليج ، القسم الثاني ج ١ ، ص ١٠٦ - ١٠٧ .

للقوى العربية دورها الهام في كسر الاحتكار البرتغالي وللناواة بحرية البحار (١) .
والأمر الذي لا شك فيه أن انهيار السيطرة البرتغالية في الخليج كان له أثر كبير في
للفشاط البحري العربي الذي سنلاحظه بشكل واضح منذ النصف الثاني من القرن
السابع عشر حتى السنوات الأولى من القرن التاسع عشر .

وبينا كانت فارس تتطلع إلى وراثة النفوذ الاستعماري البرتغالي في الخليج ؛
تجد نفسها على العكس من ذلك تعرض لمتاعب بالغة من قبل الهانين إلى درجة دفعت
بها للاستعانة بالقوى الاستعمارية الواقعة على الخليج ، بمبدأ انحلال النفوذ البرتغالي ، بهدف
القضاء على الزعامة العربية على مياه الخليج ، ونعمة ما يؤكد لنا أن الحكومة الفارسية
تقدمت في السنوات الأخيرة من القرن السابع عشر إلى كل من شركة الهند الشرقية
البريطانية ، وشركة الهند الشرقية الهولندية طالبة معونتهما في الهجوم على مسقط .
ولم تحمى شركة الهند الشرقية البريطانية في ذلك الوقت للعرض الفارسي إذ لم يكن
لديها الرغبة في التدخل العسكري أو السياسي في شؤون الخليج لما يتطلب منها ذلك
من مواصلة إرسال الجنود أو السفن التي كانت أحوج ما تكون إليهما لتوطيد
مركزها في شبه القارة الهندية (٢) وإن كانت شركة الهند الشرقية البريطانية حريصة
في الوقت نفسه على أن تقف جانبا دون أن يستفيد الهولنديون من الموقف لما قد
يؤدي إليه ذلك من تفوقهم على الإنجليز في فارس والخليج العربي .

وعندما لم تجد فارس استجابة لمعرضها أرسل الشاه وفداً رسمية إلى ملك

(١) عن الصراع الهان البرتغالي يمكن الرجوع إلى :

Miles, countries & tribes of the Peasiau Gulf vol 2,
London, 1919.

.Bombay Govt, op. cit. p. 168 (٢)

فرنسا لويس الرابع عشر ، وقد أسفرت هذه الوفاة عن توقيع معاهدة تحالف وصداقة بين فرنسا وپارس في عام ١٧٠٨ ، وكانت هذه المعاهدة تنص في بعض موادها على أن يقوم الفرنسيون بإرسال أسطول إلى الخليج لمساعدة پارس على احتلال مسقط (١) ، ولكن مما استلقت النظر أن هذه المعاهدة ظلت دون تنفيذ ، ولذلك فإن كثيراً من المصادر الأوروبية تركت على الجهود الكبيرة التي بذلها شاه الفرس لسكى يبحث فرنسياً على تنفيذ هذه المعاهدة ، من ذلك ما ذكره ماسون Masson في كتابه عن التجارة الفرنسية في الليفانت (٢) أنه في عام ١٧١٤ أرسل الشاه مبعوثاً خاصاً إلى الملك لويس الرابع عشر لسكى يطلبه على مدى الصعوبات التي تمرض لها پارس في الخليج ، وبالتالي لسكى يقبله بتجديد معاهدة ١٧٠٨ أو وضعها موضع التنفيذ ، ويضيف فلاسون Flasjon في كتابه عن تاريخ الدبلوماسية الفرنسية ، بأن المباحثات الفارسية الفرنسية انتهت بموافقة الحكومة الفارسية على أن تمنح مسقط بجميع تحصيناتها إلى الحكومة الفرنسية نظير هذه المساعدة التي كانت تعاق عليها پارس أهمية كبيرة في القضاء على قوة عرب عمان ، وتقوهم في الخليج العربي (٣) ، ولكن فيما يبدو لنا أن الحكومة الفرنسية لم تكن متحمسة لمخالفة فارس بل لملأها انجبت اتجاهات مضاداً استهدفت به تقوية مركزها في مسقط لسكى

(١) Farrenghy' Abbas, Bahrein Islands p. p. 65-66 New York.

(٢) Masson, Histoire de Commerce Francaise dans le levant au 18 siecles. p. 525.

(٣) Flasjon, Histoire de la Diplomatie Francaise Livre II Cf. Davrille, le golfe persique, route de L'Inde et de la chine (Extrait de la Revue de Question diplomatique et coloniales, Paris 1905).

تستغلها في الصراع الذي كان ناشباً بينها وبين الانجليز (١) .

يتضح لدينا أذن أن فارس لم يكن بمقدورها أن تواجه السيادة العربية في الخليج التي ظهرت منذ النصف الثاني من القرن السابع عشر، ويكفي أن نشير بصدد ذلك إلى أن النشاط لللاحق العربي لم يقتصر على الخليج العربي فحسب وإنما وصل هذا النشاط إلى سواحل شرق أفريقيا وسواحل الهند ذاتها (٢) . ومن ناحية أخرى أخذت فارس تعرض لمرحلة من التدهور العنيف بسبب تفاقم مشكلاتها الداخلية التي أسفرت عن إشاعة الفوضى في كثير من مقاطعاتها بل وتعرض بعضها لعمليات غزو مفاجئة، ففي عام ١٧٢٢ قامت الحرب الفارسية الأفغانية وتمكن الأفغانيون من احتلال مقاطعة أصفهان وارغموا الشاه الضعيف على التنازل عن عرشه (٣) . ومن ناحية أخرى انتهزت روسيا تلك الاضطرابات الداخلية والاضطراب الخارجية التي تعرضت لها فارس فبادرت باحتلال بعض مقاطعاتها الشمالية، ولعل ذلك كان من أهم الأسباب التي دفعت بفارس إلى سحب قواتها من الخليج لكي تواجه المشكلات الداخلية والخارجية التي ألمت بها .

وينبغي أن نركز هنا على أن انهيار السيطرة البرتغالية من الخليج أفسحت المجال للقوى العربية لكي تؤكدها لنفسها زعامة الخليج، فالتتبع لتاريخ الخليج العربي في القرن الثامن عشر يجد أن أهم ما يميز ذلك القرن عودة موجات المد العربي لاستئناف نشاطها نتيجة للظروف التي أشرنا إليها . وقد اندفعت موجات المد العربي من داخل الجزيرة العربية صوب سواحل الخليج، ولم تقتصر على مجرد كونها هجرات تقليدية

(١) عن العلاقات الإنجليزية الفرنسية بمسقط يمكن الرجوع إلى :

Auzoux, France et Mascate P. 67.

Guillain, op. cit. Tome II p. 518. (٢)

(٣) لوريمر : مصدر سبق ذكره ج ١ ص ١٣٠ .

وإما اتخذت اتجاهها جديداً وأعطى بذلك أن شعور العرب بسيادتهم البحرية وقوتهم الفعلية دفع بهم إلى إيجاد تشكيلات سياسية مستقرة على الساحل الغربي من الخليج ، ففي خلال السنوات الأولى من القرن الثامن عشر ، وعلى وجه التحديد في عام ١٧١٦ ظهرت تجمعات العتوب في الكويت ، ثم امتدت هذه التجمعات أو فروع منها بعد ذلك إلى كل من قطر والزابارة ١٧٦٦ والبحرين ١٧٨٣ (١) . وفي السواحل الشمالية الشرقية من الخليج عند سهول عربستان ظهرت أحلاف قبلية من بني كعب وبني تميم وبني طريف وغيرها مما حدا بفارس ، تحت حكم الصفويين ، أن تطلق على المناطق التي استقرت فيها هذه القبائل اسم عربستان ومناها بلاد العرب وهذا اعتراف ضمني من فارس بمروية هذه المنطقة ، بينما أطلق عليها العرب اسم الأحواز بمعنى الحيازة والتملك (٢) ، وقد قويت الأحلاف العربية القبلية بصفة خاصة على أثر مقتل نادر شاه وما ترتب على ذلك من فوضى تعرضت لها الأقاليم الفارسية .

وفي السنوات الأولى من القرن التاسع عشر تأسست لمارة الحمرة على يد شيخ من قبيلة بوكاسب ، من بني كعب الذي عدأه ولهم واحداً من الأحلاف القوية التي قامت في الخليج إلى جانب قوة القواسم (٣) في ساحل عمان ، وتمكن بنو كعب وجيرانهم من

(١) لمزيد من التفاصيل عن هذه التجمعات يمكن الرجوع إلى وثائق بومباي وكذلك الدكتور أحمد مصطفى أبو حاتم - تاريخ الكويت - القسم الأول من الجزء الأول - إصدار لجنة تاريخ الكويت .

(٢) على نعمة الحلو : الأحواز إمارة كعب العربية في الحمرة بتعداد ١٩٦٩ .

(٣) تذكر بعض المصادر الفارسية نسبة القواسم إلى فارس ، والحقيقة أن القواسم عرب خاص يرجعون بنسبهم إلى نجد ويعرفون ببني ناصر أو بني النافري ، وكانت سيادتهم تمتد من رأس موساندوم إلى الشارقة في الشمال . ولمزيد من التفاصيل يمكن الرجوع إلى البحث الذي وضعه للستر وarden في وثائق حكومة بومباي عن قبيلة القواسم .

المتوب أن يكونوا سادة في القسم الشمالي من الخليج كما كان القواسم واليمارية ثم البوسميدون سادة في القسم الجنوبي، فأصبح الخليج منطقة نفوذ عربية، يضاف إلى ذلك أن القواسم لم يقتصروا على الساحل العماني وإنما اندفعوا في فترات مختلفة من القرن الثامن عشر إلى السواحل الشرقية للخليج، وحكموا إلى جانب مسقط الكثير من جزر وموانئ ومقاطعات هذه السواحل. وكان من حسن الطالع أن يشهد الرحالة الهولندي كاريستين نيبور Neibuhr - وهو واحد من طليعة الرواد الأوربيين الذين توغلوا في الجزيرة العربية في النصف الثاني من القرن الثامن عشر - هذه التجمعات العربية التي أثمرنا إليها، كما شهد بنفسه مدى النفوذ الذي وصل إليه عرب الخليج وسيادتهم على سواحلهم جميعها، مما دفع به إلى التأكيد بأن العرب هم الذين يتلكون جميع السواحل؛ بما في ذلك سواحلهم الشرقية، وأن ملوك فارس لم يتمكنوا من منازعة العرب هذه السيادة، وأنهم متعمدون على مفض بقاء السواحل الشرقية ملكاً للعرب (١).

انهيار النشاط العربي في الخليج والاحتلال الفارسي لمسقط :

وفي خلال السنوات الأولى من القرن الثامن عشر كان النشاط الملاحى العربى موجهاً ضد الصين والتجارة الفارسية، كما نجح اليمارية في عملن في السيطرة على بعض

(١) كاريستى نيبور، رحلة دانيماركي. كانت له رحلات في الخليج العربى والجزيرة العربية ١٧٦٣/١٧٦٥، وبعد أول من فتح الجزيرة العربية لميليات الارتباد الأوربي، وقد ترك مؤلفين هامين هما وصف بلاد العرب طبع في كوبنهاجن عام ١٧٧٢ ثم مختصر لهذا الكتاب باسم رحلة إلى بلاد العرب. وقد طبع في عام ١٧٧٤ وتوجد ترجمة فرنسية للكتاب الأول باسم

Description de L'Arabie

وترجمة إنجليزية للكتاب الثانى باسم Travels through Arabia.

الجزر الواقعة على مقربة من بندر عباس، وليس من شك في أن عرب عمان اغتصموا فرصة الاضطرابات الداخلية التي وقعت في فارس، بالإضافة إلى ما سبق أن أشرنا إليه من غزو أفغانى لبعض مقاماتها ليؤكدوا لأنفسهم السيطرة والنفوذ. ولكن ذلك كان لفترة مؤقتة تغيرت فيها الأوضاع السياسية في كل من فارس وعمان. ففارس استطاعت أن تتخلص من مشاكها الداخلية والخارجية بظهور شخصية قيادية هامة في التاريخ الفارسي وهى شخصية نادر شاه ١٧٢٧ - ١٧٤٧ في الوقت الذي شاعت فيه الفوضى في عمان نتيجة الثورات الداخلية والحروب الأهلية التي قامت بين المتنافسين حول منصب الإمامة مما سيجب الفرصة لنادر شاه لتأكيد النفوذ الفارسي في الخليج بل سيصل الأمر إلى أبعد من ذلك حينما ينجح في السيطرة على مسقط ذاتها، كذلك نجح نادر شاه في السيطرة على جزر البحرين. ومما يذكر أن البحرين خضعت لفارس منذ أن قام الفرس بطرد القوات البرتغالية منها في عام ١٦٠٢، ولكن الحكم الفارسي كان مجرد سيادة إسمية، أما السلطة الفعلية فقد كانت تقوم بها القبائل العربية المحلية. وقد حاولت عمان في عام ١٧١٧ السيطرة على البحرين ولكن احتلالها لم يدم إلا لفترة بسيطة عادت الجزر بعدها إلى حكمائها المحليين. وفي عام ١٧٣٣ أجبر نادر شاه وأمره إلى حكم بوشهر الشيخ ناصر بالنزول إلى البحرين وتمكن من بسط الهيمنة الفارسية عليها، وكان مما ساعد على ذلك الانقسامات الداخلية التي تعرض لها عرب الحولة الذين استقروا في البحرين منذ السنوات الأولى من القرن الثامن عشر.

وفي عمان حينما وجد الإمام سيف بن سلطان الثانى نفسه مواجهاً بأكثر من متنافس في الإمامة اتخذ لنفسه مجموعة من الجنود المرتزقة من عناصر البلوش - وسوف يكون ذلك تقليداً متبعاً فيما بعد للقوة العسكرية في عمان - ولكنه سرعان ما انهزم

مهمهم فالتجأ إلى طلب المونة من فارس (١) . وكان نادر شاه كما سبق أن أشرنا قائداً طموحاً اختط سياسة بحرية استهدف من ورائها ضمان سيطرة فارس على مياه الخليج (٢)، ومن أجل ذلك أرسل كثيراً من الحملات العسكرية، وعلى الرغم من نجاحه في كثير من هذه الحملات إلا أنه اضطر إلى الإقرار بالأمر الواقع والاعتراف بسيطرة القبائل العربية على سواحل الخليج (٣)، كذلك حاول أن يبسط السيادة الفارسية على منطقة شط العرب وكان ذلك في خلال نزاعه مع الدولة العثمانية ، وليس من شك في أن فارس استطاعت في خلال العشرين سنة من حكمه ١٧٢٧ - ١٧٤٧ أن تؤمن ممتلكاتها وتجارتها وتضع حداً للتفوق العربي الذي كان يضطرها في مناسبات كثيرة إلى طلب للمساعدات الأجنبية . وكان واضحاً أن الفرض من قبول نادر شاه التدخل في شئون عمان الداخلية هو ضم عمان إلى فارس ولذا لم يكن نادر شاه في حاجة إلى إغراء قوى من إمام عمان للاستجابة له لأنه كان يسيطر في ذلك الوقت على البحرين وبعض المناطق الواقعة على الساحل العماني، ولذا أدرك نادر شاه أن سيطرته على مسقط سوف تحقق له السيادة والتفوق الذي كان يبتغيه على سواحل الخليج العربي وخليج عمان (٤) .

وفي عام ١٧٣٧ قامت حملة فارسية قوامها خمسة آلاف جندي من ميناء بندر عباس وتحت قيادة لطيف خان حيث أغزات قواتها في منطقة خورفكان وبما يذكر

(١) جمال زكريا قاسم ، الأصول التاريخية لقضية عمان - بحث منشور في مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية المجلد ١٢ عام ١٩٦٤ - ١٩٦٥ .

(٢) Lockhart, Nadirshah, p. 182 .

(٣) Ibid .

(٤) عن النشاط الفارسي على سواحل الخليج في عهد نادر شاه يمكن الرجوع إلى وثائق شركة الهند الشرقية البريطانية - تقارير الوكالات .

Cf. Gombroon Diary end - 13th Feb. 1739.

أن شركة الهند الشرقية الهولندية قدمت بعض السفن للحملة الفارسية، ثم تقدم لطيف خان إلى رأس الخيمة حيث تقابل مع قوات الإمام سيف وتماونت القوات الفارسية والممانية في إلحاق الهزيمة يعرب بن حمير القدي كان على الرغم من قرابته لسيف إلا أنه كان مترعماً الثورة ضده (١). واستطاع الفرس وأتباع الإمام احتلال مدن الجوف وعبري ثم تقدمت القوات إلى مسقط، ولكن لم يلبث أن وقع الخلاف بين سيف وأعوانه الفرس عندما اتضح له أن هدف الفرس هو السيطرة وليس للماونة خاصة بعد أن أخذ لطيف خان يتصرف في البلاد تصرف صاحب الأمر مما أدى إلى إضمار التحالف القائم بينهما وانتهى الأمر بتراجع لطيف خان إلى جلفار ليكون على مقربة من الأسطول الفارسي. على أن نادر شاه كان قد بيت العزم على احتلال عمان فمنذ علم بذلك التراجع بادر بإرسال تقي خان لماونة لطيف خان وتمكن القائدان في يناير ١٧٣٨ من تحقيق السيطرة الفارسية على سواحل عمان، كما تقدما صوب مسقط ناجحين في احتلالها فيما عدا قلاهما التي بقيت صامدة رغم طول الحصار (٢). وعندما أدرك الإمام سيف أن الأمر قد أوشك أن يخرج من يديه سارع إلى الاتفاق مع منافسه بلعرب على أن يعمل على تخليص بلادها من الفرس وعاونتهما الظروف في ذلك حينما دب النزاع بين تقي خان ولطيف خان وكان هذا خير فرصة انتهزها ثوار عمان فقاموا بالانقضاض على الحاميات الفارسية التي لقيت في كل من بهلى وبركة أكبر كارثة يمكن أن تحمل بجيش أجنبي (٣)، وفي أثناء ذلك استطاع أحمد بن سعيد ١٧٤١ - ١٧٨٣ وإلى الإمارة على صحار أن يصل إلى إمارة عمان وتزعم حركة التحرير العربية التي لم يقتصر فيها المانيون على طرد القوات الفارسية من بلادهم

Cuillain, Documents sur L'Histoire, Geographie (١)
et le commerce de L'Afrique Orientale, Tome I: p.
529 Paris 1856.

Lockhart, op. cit. p. 183. (٢)

Huart, Hestoire des Arabes Tome II p. 269. (٣)

فحسب بل أن للوجة التحررية اندفعت إلى سواحل الخليج العربي حتى وصلت إلى البحرين، وصادف في ذلك الوقت تأزم الأمور في المملكة الفارسية حينما دبت الثورة في بعض مقاطعاتها الأمر الذي دفعها إلى سرعة سحب قواتها من الخليج لتعالج بها مشكلاتها الداخلية، وكان لهذه الأحداث أثرها في انهيار الهيمنة الفارسية على الخليج العربي (١).

نستخلص مما ذكرناه آنفاً أن فارس استطاعت أن تحقق سيادتها على الساحل الشرقي من الخليج العربي وخليج عمان بعد انهيار النفوذ البرتغالي في النصف الثاني من القرن السابع عشر، وفي خلال النصف الأول من القرن الثامن عشر سيطرت لفترة مؤقتة على مسقط والبحرين ثم أخذت تطالب بهذه المناطق فيما بعد باعتبارها مقاطعات متكاملة معها (٢) ورغم نجاح فارس في احراز سيادتها على بعض مناطق الخليج في فترات مختلفة من التاريخ إلا أن هذه السيادة كانت شكلية كما أنها لم تمتد إلى أية منطقة من الساحل الغربي في العصر الحديث إلا لفترة قصيرة جداً من عهد نادر شاه بينما امتد نفوذ القبائل العربية إلى الساحل الشرقي برمتة قرونًا عديدة إذ أن الثابت أن مناطق كثيرة من الساحل للشرقي - الذي تطل عليه إيران - كانت خاضعة لأسر عربية حاكمة سنشير إليها فيما بعد.

اغتيال نادر شاه وضياع السيادة الفارسية من الخليج :

السع اغتيال نادر شاه في عام ١٧٤٧ ألفرة لمعاودة نشاط القوى العربية بل ووصول للمد العربي إلى السواحل الشرقية من الخليج العربي (٣) ويبدو أن ازدهار القوى العربية في الساحل الغربي للخليج أدت إلى انتماش مقابل للقوى العربية المحلية

Lockhart, op. cit. p. 184 .

Hay, the persian Gulf states. 17. (٢)

(٣) عبد الفتاح ابراهيم : على طريق الهند ص ٤ - ٥

على طول المواعيل الشرقية إذ تميز الساحل الشرقي بظهور أسر عربية محلية ، ويمكن تحديد ثلاث قبائل عربية كانت ترسم الخريطة السياسية للجزء الجنوبي من بلاد فارس في المقد السابع من القرن الثامن عشر، وهؤلاء هم عرب بوشهر وحاكمهم آنذاك الشيخ نصر آل مذكور وهم من عرب للطايش العمانيين، وهي قبيلة سنية، وفي خلال حكم نارد شاه قام زعيم هذه الأسرة بالتحويل إلى المذهب الشيعي على أمل أن يمينه نارد شاه قائداً للأسطول الذي أعده وجعل من بوشهر قاعدة له وكان هذا غيما هو واضح عملاً انتهائياً أكسبه سحق بقية العرب في بوشهر بل كل العرب المستقلين بالملاحة في منطقة الخليج . ثم هناك أيضاً عرب بندر رنج النازلون إلى الشمال من بوشهر وهم ينتمون إلى عرب زهاب من الساحل العماني، وكانوا يحكمون بالإضافة إلى ذلك جزيرة خرج ، كذلك ظهرت قبائل عربية أخرى في ميناء لنجة وجزيرة صيرى القريبة منه . ثم هناك عرب بنو كعب ومركزهم الدورق وبالإضافة إلى تلك القوى القبلية الثلاث كان هناك عرب الحولة النازلون على الجزء الجنوبي من الساحل الشرقي من الخليج ، والمنشرون كذلك في جزائر قسم وقيس وهرمز وغيرها من الجزر الصغيرة المنتشرة في جنوب الخليج بيد أن هؤلاء لم يلعبوا دوراً يذكر في الحوادث التي وقعت في أواخر القرن الثامن عشر وإنما الذين أخذ دورهم هم جماعة القواسم القاطنون في الساحل العماني (١) .

والثابت لدينا محاولة حكام عمان تقوية صلاتهم مع هذه القبائل العربية ولدينا بصدد ذلك حلف عقده الإمام أحمد بن سعيد ١٧٤٤ / ١٧٨٣ مع قبائل بني كعب العربية إلى جانب حلف آخر عقده مع قبائل بني معن القاطنة على مقربة من بندر عباس ، وبما لا شك فيه أن ظهور تلك التحالف المديدة بزعامة عمان كان لها أثر

(١) أحمد مصطفى أبو حاكمه : تاريخ الكويت - الجزء الأول - القسم

كبير في إضفاف محاولات كريم خان الزندي ١٧٥٦/١٧٧٧ في استعادة السيطرة
الفارسية على سواحل الخليج العربي (١).

وكان من الطبيعي أن يترتب على الانتماء الذي عاشته القوى العربية في سواحل
الخليج نزاعاً مباشراً بين عمان - التي ظهرت متزعمة للتحالف العربي - وبين كريم خان
الزندي خاصة بعد أن توطدت سلطته في شيراز واستطاع أن يعيد الاستقرار بعد فترة
من الفوضى دامت عشر سنوات بعد اغتيال نادر شاه. وقد ظهر النزاع بين كريم خان
وإمام عمان في بادئ الأمر على حوادث عملية ثم لم يلبث أن تطور الخلاف إلى إدعاء
كريم خان بالسيادة الفارسية على مسقط استناداً إلى خضوعها تحت قبضة نادر شاه
في الفترة من ١٧٣٨ - ١٧٤٤ ، وإلى استمرار دفع حكامها الجزية السنوية لفارس
حتى بعد جلاء القوات الفارسية عنها بعد اغتيال نادر شاه في عام ١٧٤٧ . وعلى ذلك
فقد طلب كريم خان من إمام عمان ضرورة دفع الضرائب السنوية للتأخرة على
عمان ولكن إمام عمان رفض أن يذعن لمطالب كريم خان وجاء في الرد الذي
بث به إليه في عام ١٧٦٩ بأن الضرائب التي كانت تدفعها حكومة مسقط إلى فارس
على عهد نادر شاه لم يكن الدافع إليها هو أحقية فارس لتلك الضرائب قدر ما كانت
سياسة انتهجتها لكي تتخلص من متاعب نادر شاه، ولكن الأمر هنا يختلف قدر
الاختلاف بين رجلين فالأول كان فاتح فارس كلها، والثاني لا يبدو أن يكون وكيلاً
على إقليمين أو ثلاثة من أقاليمها (٢) .

(١) لوريمر : دليل الخليج - القسم التاريخي ج ١ ص ١٧٨ / ١٧٩ .

Bombay government, Selection From the records (٢)
Vol X X IV Bombay I856, cF Historical Sketch of the
Rise & progress of the Government of Muscat P.170.

وكان من الطبيعي أن يترقب على ذلك اتحدى قيام بعض النواشات بين فارس وعمان إذ تمكن الفرس من الاستيلاء على بعض القطع العمانية مما أدى إلى ذهاب أسطول مسقط في عام ١٧٧٠ إلى بوشهر لطلب نرضية كافيّة، كما زعمت عمان خلفاً قاسمياً انضم إليه شيخ هرمز وأصاب جزءاً من السواحل الشرقية لخليج بعض الأضرار. وكان كريم خان وقد شغلته المنازعات الداخلية في فارس قد ترك تعريض الشئون البحرية للشيخ نصر خان بوشهر الذي منحه سلطة مواصلة الحرب أو عقد الصلح مع عمان. ومن ناحية أخرى فإن كريم خان انشغل في شئون عمان وصراعه معها بالصراع الذي قام بينه وبين الدولة العثمانية في عام ١٧٧٥. وقد قام كريم خان بالعمل بمرض حصار قوى على البصرة وكان قد مهد لذلك بالسيطرة على منطقة شط العرب كما دمر الدورق عاصمة إقليم بني كعب واضطرت القبيلة إلى إظهار تأييدها لكريم خان في حملته على البصرة في عام ١٧٧٦ بعد أن عقد كريم خان تحالفاً معها والنتيجة السياسية لهذا التحالف — كما يقرر أحد الباحثين — تكمن في أن فارس اعترفت اعترافاً فعلياً بتلك القوى المريّة وسيادتها على المنطقة فمن الطبيعي أنه من المستحيل الدخول في تحالف مع طرف آخر إذا لم يكن ذلك الطرف معترفاً بوجوده كقوة سياسية (١).

وفي خلال الحصار الذي فرضه كريم خان على البصرة انتهز إمام عمان تلك الفرصة فأسرع بإعداد حملة بحرية قادها بنفسه لتفك الحصار وتطهير منطقة شط العرب من التسلل الفارسي (٢). وقد هاجمت قواته التي كانت تزيد على عشرة آلاف جندي

(١) مصطفى عبد القادر النجار: التاريخ السياسي لإمارة عربستان ص ٤٩
 (٢) Bombay Govt., op. cit. CF. The Rise & Progress of the government of Muscat. p. 172.

واثنى عشر سفينة حربية للمواقع الفارسية في نفس الوقت الذى كانت فيه مدافع
سفن تضرر أسوار المدينة وقد أشاد السلطان عثمانى مصطفى الثالث بهذه المعاونة
التي قدمها العمانيون فأصدر فرمانا يقضى بدفع مساعدة مالية سنوية إلى إمام عمان
وقد استمرت هذه المساعدة حتى بداية عهد سعيد بن سلطان (١) .

وفما يبدو أن كريم خان كان يتعين الظروف لللائمة للسيطرة على عمان فحين
سقطت البصرة في يد الفرس في عام ١٧٧٩ طلب إعداد تقرير عن إمكانية الزحف
منها إلى عمان ولكن هذه الخطة لم تنفذ، وبوفاة كريم خان في عام ١٧٧٩
أخذت فارس تراجع عن الصدارة والقوة بين بلدان الخليج وبعد سنوات قليلة
أضحت من أكثر هذه البلدان ضعفا وأسوأها نظاما إذ قامت للنزاعات بين ورثة
كريم خان لارتقاء العرش وفي خلال ثمانية عشر عاما من وفاة كريم خان تولى
الحكم سبعة من أفراد أسرته فقدوا كل نفوذهم الخارجى بل والداخلى أيضاً حتى أن
أقاليم كثيرة من اللقاطعات الإيرانية ذاتها خرجت عن سلطانهم واستمر الوضع على
ذلك حتى قيام أسرة فاجار بالاضطلاع بمسئوليات الحكم في فارس منذ عام
١٧٩٧ . (٢) .

وليس من شك في أن فترة التدهور التي عاشتها فارس ١٧٩٧/١٧٧٩ أفسحت
المجال لعمان لتأيد نفوذها على السواحل الشرقية من الخليج بل وقيام حكم عربي على
أجزاء كبيرة من هذا الساحل بما في ذلك جزره وموانئه (٣) كما انفسح المجال أيضاً للقوى

(١) محمود علي الداود : التطور السياسي لقضية عمان ص ٢٩

(٢) لوريير : دليل الخليج — القسم التاريخي ج ١ ص ٢٣٢ وما بعدها .

(٣) Curzon, Persia & The Persian Question Vol II p. (٣)

العربية الأخرى بما في ذلك القواسم في الساحل الماني وبنو كعب وغـيرهم لاستعادة نفوذهم السابق كما أن فترة الفوضى هذه كانت على درجة كبيرة من الأهمية أيضاً لأنها ساعدت فرعا من العتوب - وهم آل خليفة - للسيطرة على الزبارة ومن ثم الوثوب على البحرين لتخليصها من السيطرة الفارسية في عام ١٧٨٣ حيث تم وضع أساس حكم عربي مستقر في تلك الجزر .

ويمكننا أن نمالج فترة اضمحلال النفوذ الفارسي في السنوات التي أعقبت اغتيال كريم خان حتى وصول أسرة فاجار إلى الحكم ثم استمرار انحلال النفوذ الفارسي طيلة القرن التاسع عشر في عدة نقاط هامة كل واحدة منها تؤكد لنا بما لا يقبل جدال قوة النفوذ العربي الذي ظهر على غاية ما يكون من التفوق ليس على سواحل الخليج القريبة فحسب وإنما على سواحله الشرقية أيضا وبالتالي أصبح الخليج بحيرة عربية تماما إلى أن أخذ يتعرض للزحف الاستعماري البريطاني منذ السنوات الأخيرة من القرن الثامن عشر ، وطيلة سنوات القرن التاسع عشر وما بعدها ، ولم تعد العلاقات الفارسية العربية تمارس إلا من خلال بريطانيا . وفي أحيان كثيرة مهدت السيطرة البريطانية لفارس تأكيد سيطرتها على بعض أجزاء من الساحل الشرقي وإن كانت قد عارضتها في مناطق أخرى على الساحل الغربي من الخليج لاسبيا البحرين كما سيتضح لدينا من مناقشة النقاط التي أشرنا إليها على الوجه التالي :-

أولا : إنهيار نفوذ بني كعب :

سبق أن أشرنا إلى أن بني كعب يرجعون بأصولهم إلى نجد ولسكنهم توجهوا في السنوات الأخيرة من القرن السابع عشر على حد قول نيدور إلى أقصى بقعة تقع شمال الخليج العربي وبلغت قوتهم شأوا عظيما في منتصف القرن الثامن عشر ولما كانت الرقعة التي ينزل فيها بنو كعب موضع تنازع المئانيين والفرس فقد كان على شيوخ بني كعب أن يراوغوا الطرفين للاحتفاظ باستقلالهم ، وبلغت قوتهم إلى الدرجة التي أفلقت

الدولة العثمانية وأخانت فارس (١) ولما عجزت الدولتان عن إحراز أي نصر ضدّهم اتفقتا فيما بينهما على تصفية خلافات الحدود وكان ذلك في اتفاقية أرضروم الثانية في عام ١٨٤٧ (٢). حيث جاء في المادة الثانية من هذه الاتفاقية التي اشتركت كل من إنجلترا وروسيا في توقيعها على أن تعترف الحكومة العثمانية بصورة رسمية بسيادة الحكومة الفارسية التامة على مدينة المحمرة ومينائها وجزيرة خضر (عبدان) بالإضافة إلى الأراضي الواقعة على الضفة الشرقية من شط العرب وعلى الرغم من أن هذه للذكره الإيضاحية لهذه السادة حددت للناطق للعرف ببقعتها لفارس إلا أن الحكومة الفارسية أضافت إلى سيطرتها مناطق أخرى لم تحددها الاتفاقية (٣).

وعلى أي حال فإن قبول شيوخ عربستان الولاء لفارس لم يحدث بشكل رسمي إلا بعد توقيع معاهدة أرضروم وكان ذلك أمراً ضرورياً بعد أن تخلت عنهم الدولة العثمانية وإن كان من المؤكد لدينا أن هذا الولاء كان من الناحية الشكلية البحتة. فإن ما يلاحظ على ما جاء في المادة الثانية من معاهدة أرضروم أن هذه المادة قررت مصير شعب عربستان رغم إرادته ومن ناحية أخرى أن قبيلة بني كعب لم تتنازل عن صيادتها على الناطق التي استقرت فيها لفارس فقبيلة بني كعب لا تمت لفارس بأية صلة بشرية ولا يتعدى الأمر أكثر من اتفاقهما في اعتناق المذهب الشيعي. والجدير بالذكر أن الادعاءات الإيرانية على عربستان قد ركزت بشكل واضح على هذا

(١) شفيق الرشيدات . عربستان ، الجزء العربي للمقصب ص ٦٢ .

(٢) الداود : الخليج العربي والعلاقات الدولية ١٨٩٠ - ١٩١٤ ص ٤٣/٤٢

وعن مساندة بريطانيا لفارس في منطقة شط العرب على حساب الدولة العثمانية ،

(٣) يمكن الرجوع في ذلك إلى وثائق الحرب العالمية الأولى :

Gooch & Temperley , British Documents on the
Origins of the war Vol X Part II CF. Mallet to Hackki
Pasha 26 / 2 / 1913 Doc No 60 pp . 90 - 91 .

الشباب للذهبي إلا أنه بطبيعة الحال لا يصلح لكي يكون إدعاءً قوياً وفيما يبدو مع ذلك أن النزعة للذهبية كان لها تأثير كبير عند عقد معاهدة أو ضررم التي نصت على إلحاق المناطق الشيمية في عربستان إلى فارس في حين ضمت السليمانية وماجاورها - وهي مناطق سنية - للدولة الشمانية (١) .

وفي خلال السنوات الأخيرة من القرن التاسع عشر والسنوات الأولى من القرن العشرين استطاعت بريطانيا أن توطد نفوذها في إمارة عربستان بل أنها منحت شيوخها وعودا كثيرة بالحماية وتحقيق الاستقلال وظهر ذلك واضحا في التمهيدات البريطانية التي قدمت إلى الشيخ خزعل خان ١٨٩٧ - ١٩٢٥ قبيل الحرب العالمية الأولى وفي خلالها (٢) ولكن بريطانيا كان من السهل عليها أن تتجاهل هذه التمهيدات في أعقاب الحرب العالمية الأولى حينما اتجهت السياسة الإيرانية في عهد محمد رضا بهلوي اتجاها قوميا عنيفا تمثل في انتزاع منطقة عربستان وفصلها عن الوطن العرب والقبض على شيخها وإنهاء الحكم العربي فيها ١٩٢٥ ومضت عمليات (التفريس) القسري تأخذ دورها في تشريد القبائل العربية وفي التعليم وفي قمع الانتفاضات العربية في عربستان والتي كانت تنزعها بعض الأحزاب السياسية ، بالإضافة إلى جهة تحرير عربستان التي أهدم كثير من زعمائها واضطرارها إلى التحول إلى العراق في محاولة لاستئناف نشاطها .

ثانيا : قيام وسقوط الحكم العربي في السواحل الجنوبية الشرقية للخليج

لم تقتصر الهجرات العربية - التي نزحت من الجزيرة العربية في أوائل القرن

(١) لمزيد من التفاصيل عن تحليل الأسس المختلفة التي كانت تستند عليها إيران في إدعاءاتها على عربستان انظر : مصطفى عبد القادر ، التاريخ السياسي لعربستان ص ٧٢ وما بعدها .

(٢) جمال زكريا قاسم : الخليج العربي ١٨٤٠ - ١٩١٤ ص ٤٠٦

الثامن عشر - على الاستقرار على السواحل الغربية للخليج فحسب وإنما عبرت قبائل عربية كثيرة مياه الخليج واستقرت على سواحل الشرقية أيضا حيث مارست هناك حكما ذاتيا وإن كانت قد اعترفت في بعض الأحيان بالسيادة الفارسية عليها . على أن السنوات الأخيرة من القرن الثامن عشر تمهد لنا تطورا هاما بلمسته القبائل العربية القاطنة على السواحل الشرقية الجنوبية والذي تمثل في ظهور حكم عربي مستقر وقد نشأ هذا الحكم العربي المستقر نتيجة عاملين أساسيين : -

العامل الأول : ارتباط بعض جزر وموانئ السواحل الجنوبية الشرقية بالحكم العربي في عمان .

والعامل الثاني : ظهور أسرات عربية مستقلة حكمت بعض جزر وموانئ الساحل الشرقي .

وكان مما أفسح المجال لظهور حكم عربي مستقر حالة الانهيار التي أخذت تعاني منها فارس منذ أواخر القرن الثامن عشر . فقد نجح العثمانيون في السيطرة على ميناء بندر عباس بملحقاته جواد وشهباز ، وكان ذلك على عهد سلطان بن أحمد ١٧٩٣ - ١٨٠٤ ، التي كانت حروبه وتوحياته في السواحل الجنوبية الشرقية من الخليج من أهم الأعمال التي قام بها فمقب وصوله إلى الحكم مباشرة قام بالاستيلاء على جواد سنة ١٧٩٣ وعين فيها حاكما من قبله نجح بأوامر منه في السيطرة على شهباز . وفي العام التالي ١٧٩٤ قاد سلطان بن أحمد بنفسه حملة بحرية على بنى معن في جزيرتي قشم وهرمز ، وهي قبائل عربية كانت تحكم هذه المناطق بفرمان من الشاه (١) ، ولذلك ترتب على نجاح سلطان بن أحمد في حملته البحرية هذه تحول الضرائب التي كانت تدفع إيجارا لميناء بندر عباس وما جاوره بما في ذلك ميناء ميناب وجزر قشم وهرمز وهانجام من شيوخ بنى معن إلى حاكم مسقط، ولم يكن

هذا الإيجار السنوى يزيد على أربعة آلاف روية قبات حكومة مسقط أن تدفعها إلى فارس بمثابة إيجار لهذه المناطق التى أعلنت سيطرتها عليها . والحقيقة أن فارس لم تمكن أنسلم بطبيعة الحال بانتقال بسيادة على هذه المناطق الهامة من أسرة عربية صغيرة كبنى معن إلى دولة عربية كبيرة كسلطنة مسقط، ولذلك حاولت فارس بمساعدة شيخ بوشهر أن ترد الهجوم العمانى، ولكن شيخ بوشهر فشل فى مهمته عام ١٧٩٦ وأرغمت فارس فى العام التالى ١٧٩٧ على أن تعترف رسمياً بالإدارة العربية التى قامت فى ميناء بندر عباس بمحافظته الواقعة على ساحل مكران ، وكذلك على جزر قشم وهرمز وغيرها من الجزر والموانئ التى نجحت حكومة مسقط فى انتزاعها من قبائل بنى معن ، أو بالأحرى انتزاعها من السيادة الفارسية (١). ولم يكن الإيجار الذى قبلت حكومة مسقط دفعه إلى فارس إلا بمثابة فريضة للحكومة الفارسية إذ كانت سلطنة مسقط فى حقيقة الأمر تنصرف فى هذه المناطق التى آلت إليها من حيث تنظيم إدارتها وتجارها تصرف صاحب الأمر، ويمكن أن نؤكد ذلك استناداً على المعاهدة التى وقعتها سلطان بن أحمد مع شركة الهند الشرقية البريطانية (٢)، وهى أولى المعاهدات التى عقدتها بريطانيا فى منطقة الخليج العربى عام ١٧٩٨، إذ نصت المادة السابعة من هذه المعاهدة على أن يسمح سلطان مسقط للإنجليز بإبقاء حامية عسكرية وإنشاء وكالة تجارية فى بندر عباس، ومن الثابت لدينا أن السلطان منع تلك الامتيازات للإنجليز دون أن يرجع فى ذلك إلى الحكومة الفارسية مما يؤكد أن السلطنة العربية فى مسقط أخذت تنصرف فى هذه المناطق التى آلت إليها تصرف المالك المستقل (٣) .

Sykes (Percy), History of Persia Vol II p. 456 (١)
Aitchison, Collection of Treaties, Engagements & Sands relating, to India & Neighbouring Countries, Vol XII pp. 207-208 Calcuta, 1892. (٢)

(٣) جمال زكريا قاسم : دولة بوسعيد فى عمان وشرق إفريقيا ص ٧٦

وإذا كان أقصى توسع حقيقه العرب في السواحل الشرقية والثرية للخليج بدا واضحا في نهاية القرن الثامن عشر، إلا أن التفوق العربي لم يلبث أن تعرض منذ ذلك الوقت وفي خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر للتخليل البريطاني. وكان الإنجليز في قتلهم في الخليج حريصين تماماً على موازنة القوى العربية والفارسية تحقيقاً لمصالحهم الاستعمارية، وسوف يظهر ذلك واضحا في موقفهم من الإدارة العربية على السواحل الشرقية الجنوبية للخليج في القرن التاسع عشر؛ وبالتالي من العلاقات الألمانية الفارسية على مدى سنوات القرن التاسع عشر، فلقد حاولت فارس عقب وفاة سلطان بن أحمد في عام ١٨٠٤ أن تجرد سلطنة مسقط من توابعها وذلك بتشجيعها شيوخ بني معن على استعادة بندر عباس وميناب ولكن بدر بن سيف الذي كان قائماً بالوصاية على الحكم في عمان انتهز فرصة قيام الحكومة البريطانية بإرسال حملة ١٨٠٥ لضرب معاقل القواسم لكي يشترك في هذه الحملة التي كان يقودها السكاكيتون Seton (١) وقد نجح بدر في توجيه هذه الحملة إلى الساحل الشرقي للخليج بهدف استعادة ميناء بندر عباس من شيوخ بني معن، كما نجح بدر بن سيف في تخليص ميناب من الحصار الذي كان قد فرضه الفرس على هذا الميناء حتى أن السكاكيتون كتب تقريراً إلى حكومته يقول فيه «إن السيد بدر كان يرى استعادة توابع عمان في الساحل الشرقي من الخليج عملاً أكثر أهمية من مكافحة القرصنة ومقدماً عليها وأنه لو لم يكن هو نفسه موجوداً لقام بدر بأعمال عدائية أكثر عنفاً» وما يذكر أن السيد بدر اعترافاً منه بمون السكاكيتون سيتون وأملاً منه في أن يستطيع التوفيق بين المصالح البريطانية والألمانية على السواحل الشرقية من الخليج

(١) عن الحملات البريطانية التي وجهت ضد القواسم يمكن الرجوع في ذلك إلى وثائق بومباي

CF Historical Sketch of the Joasme Tribe of Arabs 1847 - 1853 p. 299 FP.

قد سمح للانجليز بإقامة وكالة في بندر عباس ولكن الحكومة البريطانية اونأت تأجيل تنفيذ ذلك بالنظر إلى ضرورة الحصول على موافقة من الحكومة الفارسية وهذا فيما يبدو لنا يتناقض تناقضا كبيرا مع موقفها عند عقد معاهدتها مع مسقط في عام ١٧٩٨ خاصة بمد أن زال الخطر الفرنسي الذي كان يهددها برحيل الحملة الفرنسية عن مصر في عام ١٨٠١ . والجدير بالذكر أن الحكومة البريطانية أخذت تقف إلى جانب فارس في خلال المنازعات التي قامت بين فارس وعمان حول حقوق السيادة على بندر عباس وتوابعها . ففي عام ١٨٢٣ حاولت فارس أن تعجزد مسقط من سيطرتها على هذه المناطق وعلى الرغم من أن سلطان مسقط نجح في الاحتفاظ ببقية هذه المناطق إلا أنه اضطر إلى اللواقعة في الوقت نفسه على أن يرفع قيمة الإيجار السنوي ، وفي عام ١٨٢٦ حاول سلطان مسقط منتهزا فرصة غياب شيخ بوشهر في رحلة للحج ، وكان يهد إليه بالإشراف على الجزر واللوان الخاضعة للإدارة العمانية ، تدين هجوم على بوشهر ، وكاد يسيطر على الموقف لولا تدخل القيم البريطاني الذي أنقذه بدم تدمير البناء مراعاة للصدقة القائمة بينه وبين الحكومة البريطانية بسبب وجود للقيمة البريطانية فيه .

وعلى أثر نقل سلطان مسقط عاصمته إلى زنجبار وإقامته الدائمة فيها بمد عام ١٨٤٠ ترتب على ذلك تمكك واضح تعرضت له الأقاليم العمانية وكان من الطبيعي أن تلتزم الحكومة الفارسية فرصة تمزق الأوضاع الداخلية في عمان لتتخلص للمناطق التي كانت تبقيها على السواحل الشرقية (١) . ففي عام ١٨٥٤ قامت الحكومة الفارسية بطرد سيف بن نهان الذي كان يمثل سلطان مسقط في بندر عباس ، وقد أسرع سلطان مسقط بمبادرة زنجبار لمعالجة الأخطار التي أخذت تتعرض لها ممتلكاته على سواحل الخليج حيث وجه حملة كبيرة إلى بندر عباس جعل قيادتها لابنه نويبي

واستطاعت الحملة أن تسترد الأقاليم الضائعة التي سيطرت عليها فارس — ميناب
وبندر عباس — ولكن ثوينى لم يستطع مع ذلك الصمود في وجه الفرس الذين
أخذوا يتزايدون في عددهم تزايداً مستمراً فاضطر إلى التراجع إلى سفنه بعد أن فقد
عدداً كبيراً من جيشه . وحينما حاول سلطان مسقط أن يستعين بحلفاء من قبائل
الساحل العماني لنجدة قواته اصطدم بمعارضة شديدة من السلطات الإنجليزية في
الخليج حينما بادروا للقيم البريطانى بإصدار أوامره بمنع القيام بأعمال بحرية عسكرية تنفيذاً
لشروط الهدنة البحرية الدائمة في عام ١٨٥٣ ، كما فشل سلطان مسقط على المستوى
السياسى أن يستعين بالإنجليز ضد فارس بعد أن ظهر واضحاً أن الحكومة البريطانية
على الرغم من صداقتها له إلا أنها تخلت عنه مراعاة لفارس التي كانت تتوحد إليها
في ذلك الوقت ضد روسيا في خلال حرب القرم ١٨٥٤ — ١٨٥٦ (١) . وقد
انتهت هذه الأزمة بتوقيع اتفاقية بين فارس ومسقط — بواسطة بريطانيا — في ١٧
نوفمبر ١٨٥٦ ، ولم تكن شروط الاتفاقية في مصلحة مسقط بطبيعة الحال ، فقد نصت
على تجديد امتياز إيجار بندر عباس وملحقاته ، بالإضافة إلى أقاليم شمائل وميناب
وجزيرتي قشم وهرمز ، ولكنها نصت من ناحية أخرى على تدعيم السيادة الفارسية
على هذه الأقاليم بصورة لم تكن تعرف من قبل ، كما رفضت الاتفاقية قيمة الإيجار
السوى الذى كان لا يتجاوز أربعة آلاف روبية إلى أربعة عشر ألف تومان إلى
جانب ترضيات أخرى بلغ مقدارها ألفي تومان . ومن المواد للقيدة التي نصت عليها
الاتفاقية أيضاً والتي يظهر منها تدعيم السيادة الفارسية هي عدم تصرف سلطان

(١) عن هذه الاتفاقية والاتفاقيات الأخرى التي عقدت بين الحكومة الفارسية
وسلطنة مسقط يمكن الرجوع إلى هرتزات في مجموعة معاهداته .

Treaties between Great Britain and Persia and
between Persia & Foreign Powers PP. 112 - 115 see
also Hurewitz Diplomacy in the Near & Middle
East Vol I. P 157.

مسقط في المناطق التي يديرها وإذا لم توافق الحكومة الفارسية على ممثل السلطان في هذه المناطق فمليه سحبته على الفور ، وبطبيعة الحال كانت هذه الشروط في جملتها تعنى ضياع السيطرة العمانية من هذه اللقاطعات إذ أصبح ممثل حاكم مسقط لا يمدو وأن يكون تابعا من توابع الفرس هذا بالإضافة إلى أن هذه الاتفاقية اقتصررت على السيد سعيد سلطان مسقط وأبناءه فقط ، وأن التمسك بالبقاء بين سلطان مسقط والحكومة الفارسية ينتهى تلقائيا بعد مرور عشرين عاما أو في حالة قيام انقلاب في حكومة عمان بحيث يؤدي إلى وصول حاكم لا يكون من بين أبناء السيد سعيد . وقد علق لوريمر Lorimer على هذه الاتفاقية بقوله « أنها نقلت وضع السيد سعيد في بندر عباس من حالة المالك الذي يملك إلى حالة من يلقي العناية في استمراره فيها وفي هذا إنقاص لقدره ولا شك » (١) .

وعلى الرغم من هذه الشروط التي كما يبدو واضحا منها أنها قلت من سلطة حكام مسقط في ممارستهم للحكم والإدارة على الموانئ الواقعة على السواحل الشرقية من الخليج فقد أعجب كثير من الرحالة الذين زاروا تلك الموانئ بالإدارة العربية ووصفوها بأنها إدارة ناجحة وتنفوق إلى درجة كبيرة الإدارة الفارسية السيئة وما انتصفت به من مظالم وإجحاف . وقد ذكر وليام بالجراف Palgrave الذي قام برحلاته في الجزيرة العربية وسواحل الخليج في عام ١٨٦٢/١٨٦٣ أن هذه الموانئ نجحت تحت الإدارة العربية واستطاعت أن تجتذب إليها الكثير من المستوطنين والتجار من مختلف العناصر والأجناس بفضل سياسة التسامح والحرية الاقتصادية التي سار عليها الحكام العرب لهذه الموانئ إذ اتمشت التجارة مع الهند اتمشاً

(١) لوريمر - دليل الخليج - القسم التاريخي ج ٢ ص ٧١٤ وكذلك الجزء الخامس - تاريخ الساحل الإيراني والجزر ص ٢٧٩٥ - ٢٧٩٦ .

كبيراً وازدهرت التجارة بصفة عامة بعد إعلان كل من ميناء بندر عباس ولنجة بأنهما موانئ حرة (١).

وقد ظلت إتفاقية ١٨٥٦ سارية للفعول حتى عام ١٨٦٦ حينما قامت الحكومة الفارسية بتحويل إمتياز بندر عباس وتوابها من حكومة مسقط إلى أحد شيوخ العرب القاطنين في بندر عباس ، وقد أقدمت على ذلك حينما تولى سالم بن ثويني حكومة مسقط بمسند اغتصابه السلطة من أبيه ثويني ، وإن كان يلاحظ أن تحويل الإمتياز كان على أساس تبعية بندر عباس للحكومة الفارسية وليس على أساس تبعية للبناء لسلطان مسقط ، وفي الوقت نفسه ارتفعت قيمة الإيجار السنوي مرة أخرى من ستة عشر ألف تومان إلى عشرين ألفاً . وعندما تأخر الشيخ العربي عن دفع الإيجار للمستحق انتهزت الحكومة الفارسية هذه الفرصة لطرده بالقوة وإستبداله بملزم فارسي بما كان دافعاً لسلطان مسقط سالم بن ثويني بتهديد السواحل الشرقية للخليج في أبريل ١٨٦٨ ، ولكن السلطات البريطانية رفضت السماح له بمواصلة عملياته العسكرية ، واستطاع السكولونيل بلي المقيم السياسي في الخليج أن يتوسط في عقد إتفاقية جديدة نصت على أن يحدد إمتياز بندر عباس لمدة ثمان سنوات لمصلحة السيد سالم وأبنائه من بعده مقابل ثلاثين ألف تومان مع سريان جية الشروط التي كانت عمدة في إتفاقية نوفمبر ١٨٥٦ التي سبق أن أشرنا إليها (٢) . على أنه حدث بعد مضي فترة قصيرة من توقيع الإتفاقية الجديدة أن

(١) Palgrave, Narrative of a year's Journey through Central & Eastern Arabia Vol II P . 288 FF see also Personal Narrative P . 392 .

Curzon , op . cit . P . 424 Vol II (٢)

see also Hertslet , op . cit . P . 115 FF.

أطيع بالسيد سالم من حكومة مسقط على أثر انبثاق الإمامة الإباضية في عهد الإمام - أم عزان بن قيس ١٨٦٨ - ١٨٧١ ولما كان نظام الإمامة يختلف نظام السلطنة فقد اعتبر وجود الإمامة بمثابة إنقلاب في حكومة مسقط. وبالتالي أصبحت الاتفاقية ملزمة تلقائياً (١)، وفشل الإمام للتخفيف من أن يستعيد سيطرته على الموانئ العربية على الساحل الشرقي من الخليج وكان فشله هذا دافعا لاتخاذ الخطوة النهائية من جانب السلطات الفارسية لطرد الدمل العمانى والسيطرة على ميناء بندر عباس بلحقاً (٢).

والجدير بالذكر أن الحكومة البريطانية لم تظهر تحمساً لاستبقاء هذه التوابع تحت سلطة مسقط باستثناء مقاطعة حوادور التي أصرت على استبقاء تبعيتها للحكومة مسقط وكان ذلك لمصلحتها في مد الخطوط البرقية من كراتشي إلى حوادور ، وبالتالي فقد عارضت الإدعاءات الفارسية التي استندت إلى حد كبير في حقوق سيادتها على توسعات نادر شاه في مقاطعات حوادور وشبهار ومكران وبلوخستان وغيرها (٣) ولم تكف فارس بالانقياد على ملكية مسقط لهذه المناطق وإنما

Sykes, op. cit. Vol II p. 423 - 424. (١)
see also Hurewitz, op. cit Vol I 159

and coupland, East Africa & Its Invaders P. 552

Sykes, op. cit. Vol II PP. 423 - 424 (٢)

see also Hurewitz, op. cit Vol I 159

and Coupland, East Africa & Its Invaders p. 552

Asiatic Quarterly Review Vol V January - April (٣)
1888 p. 413

ولمزيد من التفاصيل عن الخطوط البرقية على الساحل الشرقي للخليج يمكن

الرجوع إلى .

Goldsmid, Telegraph & Travel PP. 235 - 236

سيصل بها الأمر فيما بعد إلى إثارة إدعاءات على ساطنة مسقط ذاتها مع ملاحظة أن هذه الإدعاءات لم تظهر إلا في فترة متأخرة في العشرينات من القرن الحالى ، ووضع النشاط الفارسى في محاولة الحكومة الفارسية أن تعقد معاهدة مع مسقط بينما عارضت الحكومة البريطانية في ذلك بما أدى إلى احتجاج الحكومة الفارسية وإعلانها ديم الاعتراف بجميع المعاهدات التى عقدها بريطانيا مع إمارات الخليج باعتبارها جزءاً من الإمبراطورية الفارسية (١) . كما ظهر النشاط الفارسى في مسقط بإصرار السلطات الفارسية على تطبيق نظام المخبر — وهو وثيقة سفر فارسية — على مسقط باعتبارها مقاطعة فارسية ، كما حاولت إرسال بعض قطع من أسطولها إلى ميناء مسقط دون إعلان مسبق ولكنها أثرت أن توقف نشاطها إزاء الموقف المتشدد الذى وقفته بريطانيا (٢) . وكانت الحكومة الفارسية ترتكز في إدعاءاتها على مسقط على سبق احتلالها لها في عهد نادر شاه في خلال الفترة من ١٧٣٨ — ١٧٤٤ ويبدو أن الحكومة البريطانية كانت تدرك تماماً أن الإدعاء الفارسى على مسقط إدعاء واهن ، وأن اتجاه الحكومة الفارسية للاحتجاج لدى عصبة الأمم بمناسبة مناقشة الإدعاءات الفارسية على البحرين سيؤدى إلى أثر عكسى بل ربما يساعد على تقوية النفوذ البريطانى في الخليج باعتبارها ضرورياً لحماية حقوق الشعوب الضعيفة ، حتى أن حكومة الهند اقترحت لدى وزارة الخارجية

R / 15 / 3 / 19 / 27 Persian Navy Activities (١)
 Political Agency Muscat to Biscoe 26 th North, 1931

Ibid, cf Persian Navy Activities & visits to (٢)
 Arab ports

Resident, Bushire to Agent, Muscat 7 th March,
 1932 .

البريطانية أن تأخذ بزمام المبادرة وذلك بتحريضها سلطان مسقط على أن يهدد إليها إثارة شكواه لدى عصبة الأمم (١) .

بالتأ : الادعاءات الإيرانية على الساحل العماني وجزره :

لعل الازدهار الملاحى الذى عاشته القبائل العربية القاطنة على الساحل العماني والتفوق الذى أحرزته فى فترات كثيرة من القرن الثامن عشر قد وقف حائلا دون ظهور تمدنيات فارسية على المنطقة وإنما على العكس من ذلك استطاعت القبائل العربية القاطنة على هذا الساحل أن تسيطر على كثير من الجزر والموانئ الواقعة على السواحل الشرقية المقابلة لها .

وكانت قبيلة القواسم من أبرز القبائل العربية القاطنة على الساحل العماني ، وينبئ هنا أن ندحض ماذهب إليه البعض من إرجاع القواسم إلى أصول فارسية بهدف إيجاد أصول تاريخية أو بشرية لمطالبة فارس بالسيطرة على الساحل العماني فحقيقة الأمر أن القواسم قبائل عربية جاءت إلى الخليج من المراق بعد هجرتهم الأولى من أواسط الجزيرة العربية كما يستدل على ذلك من كتب ومآجم الأنساب المعروفة ، وكان زعيم القواسم هو الشيخ قاسم الذى نصب خيمته فى نقطة تقطع على الساحل مقابل جلفار فكانت تراه جميع السفن المارة فى الخليج فأطلق البحارة على هذا المكان إسم رأس الخيمة ، وبعد ذلك نشأت مدينة عربية حملت ذلك الإسم . وقد وصل القواسم الى ذروة قوتهم فى خلال الاضطرابات والفتنة التى أعقبت اغتيال نادرشاه فى عام ١٧٤٧ إذ كان اضطراب الأمن فى بلاد فارس سببا فى استمانة بعض القادة الفرس الطامعين فى الحكم بالقبائل العربية

F.O. 371, 13019 I.O. to F.O. 20th November, (١)
1929

لمقاومة الملوك للتناقبين بسرعة على عرش فارس (١). في عام ١٧٥٠ هـ قسم من القواسم الخليج لمساعدة ملا على شاه الحاكم الفارسي في هرمز وبندر عباس وفي مقابل ذلك فرض القواسم سيادتهم على لنجه للقبالة لقسم حيث نشأ حكم عربي استمر قائماً حتى طردت الحكومة الفارسية محمد بن خليفة وهو آخر شيخ عربي حكم لنجه في عام ١٨٨٧ (٢)، ومن المؤكد أن شيوخ القواسم في الساحل العماني كانوا يقفون إلى جانب أقربائهم الشيوخ العرب المحليين في لنجه وفي غيرها من اللوانى في المشاكل التي كانت تقوم بينهم وبين السلطات الفارسية في الخليج وطى أثر طرد الحكومة الفارسية للشيخ محمد بن خليفة من لنجه لجأ إلى رأس النخيمة حيث كاد ينجح في إيجاد تحالف بين شيوخ الساحل العماني لإعادة الهجوم على لنجه، وقد بادرت السلطات الفارسية بإبعاد الشيخ زايد حاكم أبى ظبي عن بقية شيوخ الساحل، كما بادرت الحكومة البريطانية بتوجيه انذار إلى الشيوخ بالإمتناع عن القيام بأية أعمال هجومية على لنجه.

على أنه قد ترتب على انتهاء الحكم العربي في لنجه ١٨٨٧ سيطرة الجمارك الفارسية على الليناء مما أدى إلى تدهور ملحوظ في التجارة وبادر التجار العرب بتحويل نشاطهم إلى جزيرة بوموسى (٣) التي أعدت لكي تكون بمثابة سوق حرة

(١) Bombay government, Selection from the Records Vol XXIV
cF. Historical Sketch of the Joasmee Tribe of Arabs 1747 - 1853 .

(٢) F. O. 371, 13010 Status of the Islands of Tamb, Little Tamb, Bu Musa & Sirri B . 807

(٣) تبعد جزيرة بوموسى عن ساحل الشارقة بحوالى ٢٥ ميلا وتبعد عن الساحل الشرقى المقابل له حوالى ٤٣ ميلا وإلى الشمال الغربى من بوموسى بحوالى أربعة وعشرين ميلا تقع جزيرة طناب الصغرى قلبها طناب الكبرى وتمتاز جزيرة بوموسى =

وبالتالى لسكى تكون بعيدة عن تمسف الأنظمة الجركية الفارسية وكان يحكم جزيرة بوموسى حكام من القواسم الذين كانوا يحكون فى لنجه وبعد طرد الشيخ العربى من لنجه أصبح لمن حق شيخ الشارقة أن يستولى على جزيرة بوموسى . وخوفا من أن يؤدى تحول التجارة إلى بوموسى بالحكومة الفارسية أن تعلن ضم الجزيرة إليها قام شيخ الشارقة - براء تام من الحكومة البريطانية بل وتشجيع منها - فى عام ١٩٠٣ برفع علمه على كل من بوموسى وطنب وفى العام التالى ردت السلطات الفارسية على هذا الإجراء بمحض أعلام الشارقة وعينت فى كل جزيرة موظفاً جركياً تابعا لها . وعلى الرغم مما يبدو من هذه الأعمال أنها كانت من تصرف السلطات الجركية الفارسية إلا أنه تأكد لديه فيما بعد أنها كانت بإيحاء من وزير الخارجية الفارسية بل كان من المعتقد أن الحكومة الروسية هى التى قامت بتحريض الحكومة الفارسية على القيام بذلك التصرف لأن روسيا كانت تخشى - بعد زيارة اللورد كيرزون Curzon - نائب الملك فى الهند لمنطقة الخليج (١) أن تقدم بريطانيا على إنشاء قاعدة بحرية لها فى مدخل الخليج ، وعلى أثر احتجاج الحكومة البريطانية لدى الحكومة الفارسية خفضت الأعلام الفارسية فى عام ١٩٠٤ (٢) بعد أن أكدت الحكومة الفارسية بأنها سترجىء إلى حين مناقشة الوضع الفعلى لهاتين الجزيرتين بينها وبين الحكومة البريطانية بوجود أى حقوق لها فى هاتين الجزيرتين فى حين تمسكت بريطانيا -

= ببناءها العميقة الصالحة لسوا السفن وتوافر معدن أو كسيد الحديد ، كما تمتاز الجزيرة بموقعها الاستراتيجى الهام للتحكم فى رقبة الخليج من جهة مضيق هرمز . (١) جمال زكريا قائم - : الخليج العربى ١٨٤٠ - ١٩١٤ ص ١٤٣ وما بعدها .

F . O . 371 , 13010 status , of Islands of Tamb , (٢) Little Tamb, Abu Musa & Sirri B . 307 .

حتى عهد قريب — بقبمية برموسى لشيخ الشارقة ، ففى عام ١٩٠٨ حذرت
الحكومة البريطانية شركة الونكهاموس Wonkhause الألمانية بأن جزيرة
بوموسى تابعة للشارقة (١) . .

ومما يؤيد كد تبعية جزيرة بوموسى للشارقة أنه بعد أن احتلت بريطانيا الساحل
العمانى فى عام ١٨١٩ وقع شيخ الشارقة المعاهدة العامة مع بريطانيا فى عام ١٨٢٠ .
وتؤكد جميع الوثائق البريطانية أن جزيرة بوموسى كانت جزءاً من دولة
القواسم العرية ولم يسبق لإيران أو أية دولة أخرى أن حكمتها وقد أعلنت
الحكومة البريطانية رسمياً رأيها هذا فى عام ١٩٧٢ على لسان وليم لوس ممثل وزير
الخارجية البريطانية فى منطقة الخليج حيث قال أن الحكومة البريطانية لم تنصب
بوموسى من إيران وتسلمها للشارقة وقت دخولها منطقة الخليج وأنه حسب الوثائق
التي لدى الحكومة البريطانية فإن الجزيرة عرية . كذلك تؤكد الوثائق البريطانية
خضوع جزيرة طنب لشيخ الساحل العمانى وذلك استناداً على المسكنايات
الرسمية التي أكدت فيها الحكومة البريطانية هذه التبعية والتي تبودلت فى هذا
الشأن بين السير برسى كوكس المقيم البريطانى فى الخليج والشيخ صقر بن خالد
حاكم للشارقة فى عام ١٩١٢ . بمناسبة إنشاء منارة للبواخر البريطانية فى جزيرة
طنب (٢) فى حين كانت تركز الإذاعات الفارسية على هذه الجزر بأن شيخ

(١) أنظر لوى بحرى : الأطماع الإيرانية فى جزيرة بوموسى بحداد ١٩٧٢ .

(٢) Treaties & Engagements in Force between the
British Govt . & the Trucial chiefs of the Arab Coast
Calcutta 1906 cF. Percy Cox to sheikh Saggar Bin
Khalid & From chief of Shargah to percy cox Nos
8,9,10 , October 1912 .

القولسم في لنجه الدين كانوا يحكمون في طناب وبوموسى — قبل طردهم من الساحل الشرقى في عام ١٨٨٧ كانوا رعية فارسية ، وواضح في ذلك أن الإدعاءات الفارسية متجاهل الحكم العربى الذى قام في هذه الجزر منذ عام ١٧٤٧ (١) حتى قيام الحكومة الإيرانية بالمدون على طاب السكبرى والصنرى في عام ١٩٧٢ بالإضافة إلى سيطرتها على بوموسى وهى فترة بلغت أكثر من مائتى وعشرين عاماً . ومن المفيد أن نشير هنا إلى توسط المبعوث البريطانى وليم لوس في توقيع إتفاقية بين الحكومة الإيرانية وشيخ الشارقة بالنسبة لجزيرة بوموسى في عام ١٩٧٢ . وأكده بيان حكومة الشارقة الخاص بهذه الإتفاقية أنها لا تعنى سيادة شيخ الشارقة على جزيرة بوموسى رغم وجود الاحتلال الإيرانى فيها ، وأن يقتسم الدخل المتحصل عليه من استغلال الموارد الطبيعية مناصفة بين الطرفين وإلى حين إتمام عمليات الاستغلال تلزم الحكومة الإيرانية بدفع ١٢ مليون جنيه مساعدة سنوية للشارقة لمدة تسع سنوات كحد أقصى ، وقد صرح الشيخ خالد حاكم الشارقة وهو الذى اغتيل في المحاولة الانقلابية التى حدثت في الشارقة في فبراير ١٩٧٢ ، بأنه اضطر إلى توقيع هذه الاتفاقية في الوقت الذى رفض فيه شيخ رأس الخيمة التوقيع على إتفاقية مشابهة وبالتالي تعرضت جزيرتى طناب السكبرى والصنرى لمدون إيرانى مسلح .

(١) F. O. 371, 18901 , memo . Persian claim to Tamb & Bu Musa, 1934

ولمزيد من التفاصيل عن المباحثات الانجليزية الفارسية الخاصة بهذه الجزر

انظر :

Memorandum of certain Aspects of the situation in the Persian Gulf between His Majesty's Govt . in the U . K . & the Persian Govt . , 1931 .

ولم يقتصر احتلال إيران لجزر طنب الكبرى والصغرى وبوموسى وإعما بلبنى أن تشير هنا إلى أنه سبق لإيران في السنوات الأخيرة أن احتلت الكثير من الموانئ والجزر العربية من ذلك جزيرة هنجام التي قامت باحتلالها عام ١٩٥٠ وكان يقوم بالحكم فيها شيوخ من بني ياس كذلك تم لإيران احتلال جزيرة صيرى التابعة لأبوظبي في عام ١٩٦٤ كذلك أقدمت إيران في عام ١٩٦٨ على انتزاع ثلاث جزر كويتية هي عربى وفارسى وحارق وذلك بمقتضى مباحثات الجرف القارى التي دارت بين السعودية وإيران والكويت، وكانت هذه الجزر تستخدمها القوارب الكويتية المشتغلة بالنوم والؤلؤ بل كان العلم الكويتى مرفوها على هذه الجزر منذ عام ١٩٣٧ (١).

تطور الادعاءات الإيرانية على البحرين :

لم تمارس فارس سيادتها على البحرين إلا في خلال الفترة من جلاء القوات البرتغالية عن هذه الجزر في عام ١٦٠٢ حتى عام ١٧٨٣ حينما استقر آل خليفة في حكومة البحرين ووضعوا بذلك أساس حكم عري مستقر في هذه الجزر وحتى خلال سيادة فارس على البحرين في السنوات المشار إليها كانت القبائل العربية هي التي تتولى مسئولية الحكم للباشير . وترجع سيطرة آل خليفة على البحرين وانترازها من السيادة الفارسية إلى فترة الفوضى التي أعقبت اغتيال كريم خان الزندى وفقدان فارس نفوذها على سواحل الخليج العربى (٢)، وتبع استقرار آل خليفة في حكومة البحرين ارتباطهم بمساعدة مع بريطانيا في عام ١٨٢٠ واشترأهم في توقيع معاهدات الهدنة البحرية التي وقعها كثيرون من شيوخ وحكام إمارات الخليج العربى

F. O. 371, 20773 Status of Islands in Persian (١)
Gulf, 1937 Farsi, Harqus & Arabi

(٢) محمود بهجت سنان : البحرين درة الخليج العربى ص ١٢٥/١٢٦ راجع كتابنا الخليج العربى ١٨٤٠ - ١٩١٤ - المقدمة ، البحرين .

على أن فارس لم تلبث أن عادت لمطالبتها بالبحرين منذ عام ١٨٢٢ ومن الطبيعي أن تصطدم بالحكومة البريطانية التي بدأت في فرض نفوذها على إمارات الخليج منذ السنوات الأولى من القرن التاسع عشر. وبما يسترعى الانتباه أن المباحثات بشأن البحرين انصرفت خلال القرن التاسع عشر وحتى النصف الأول من القرن الحالى على أنها مباحثات فارسية بريطانية وبالتالي انصرفت عناية كثير من الباحثين إلى دراسة هذا الموضوع باعتباره نزاعاً فارسياً بريطانياً (١) وربما يرجع ذلك في تقديرنا إلى عدم نفوذ الوعي العربى في هذه الفترة فضلاً عن سيطرة بريطانيا على ممتلكات الخليج.

وقد بدأت الإدعاءات الفارسية على البحرين بالإستناد على معاهدة تم توقيعها بين المقيم البريطانى في الخليج السكاكين بروس Bruce وأمير شيراز في ٢٠ أغسطس ١٨٢٢ ، وقد حددت هذه للماهدة فيما يتعلق بالبحرين وصفها بأنها كانت دائماً تابعة للحكومة الفارسية، وأن شيوخ آل خليفة متمردون على سلطة هذه الحكومة وفيما يبدو لدينا أن السكاكين بروس قبل هذه الشروط باعتقاد مؤداه أن عودة البحرين إلى سلطة الحكومة الفارسية سيؤدى إلى تحقيق الهدوء على الجانب العربى للخليج ووضع حد للأعمال البحرية الانتقامية التي كان يقوم بها المناوئون لسلطة العتوب (٢). على أن حكومة يومباى لم توافق بروس على هذه الآراء

(١) يمكن أن نشير هنا إلى أنه من أبرز الدراسات الخاصة بذلك هي دراسات

Feredoun Adamyat, Bahrein Islands, Alegal and Diplomatic study of the British Iranian controversy Bahrein Islands
وكذلك كتاب عباس فاروقى

(٢) عن ذلك يمكن الرجوع إلى دراستنا عن رحمة بن جابر الجلاهية حوليات كلية الآداب جامعة عين شمس ١٩٦٤/١٩٦٥ .

وأعلنت الحكومة الفارسية بأنها لن تصادق على هذه المعاهدة ، وبأذرت بسحب
السكاتبين بروس من منصبه مؤكدة اعترافها بسيادة العتوب (١) كما أن شاه فارس
بدوره لم يقر هذه الاتفاقية التي وقعها أمير شیراز دون علم منه .

وعند وصول القوات المصرية إلى سواحل الخليج في عهد محمد علي عام ١٨٣٨
وصف الشيخ نفسه بأنه رعوية فارسية وبناء على اقتراح منه أرسل حاكم شیراز
مبعوثاً ليقم في البحرين وإن كان وجوده لم يمنع من توقيع معاهدة بين خورشيد
باشا باعتباره نائباً عن محمد علي وبين شيخ البحرين في عام ١٨٣٩ ، ولانسحاب
القوات المصرية من الخليج العربي في عام ١٨٤٠ حاولت الحكومة الفارسية توطيد
نفوذها في البحرين ، ولكن اللورد ابردين وزير الخارجية البريطانية أعلن بأن
حكومته ستقابل التدخل الفارسي بالقوة حتى ولو أدى الأمر إلى تصادم بينها وبين
فارس ، وأنه ينبغي على الحكومة الفارسية أن توضح مآذيه من حقوق بالوسائل
الدبلوماسية بدلاً من استخدام القوة العسكرية لإثبات ذلك (٢) . ولدinamaذكرنان
مؤرخان في ٤ فبراير و ١٥ مارس ١٨٤٥ بعثت بهما الحكومة الفارسية إلى السفارة
البريطانية في طهران، ارتسزت المذكرة الأولى على معاهدة شیراز في عام ١٨٢٢
وردت الحكومة البريطانية على هذه المذكرة بأنها عقدت معاهدة مع شيخ
البحرين في عام ١٨٢٠ وهي منذ ذلك التاريخ أصبح لها علاقة بالبحرين وأنها
اتخذت من هذه المعاهدة أساساً لمقاومة مشروعات سلطان مسقط وعهد علي ،
كما أوضحت المذكرة عدم أهمية معاهدة شیراز في استناد فارس عليها (٣) .

F . O . 371, 15279 Persian claim to Bahrein (١)
Islands Foreign secretary to govt of India . Sept .

Adamyiat, Bahrein, Astudy of Anglo - Iranian (٢)
Controversy P . 131 .

F . O . 78, 388 Henell to the Secret Dept. of (٣)
the Bombay government, 30th August, 1839 .

أما للذكر الثانية فقد وقمها حاجي ميرزا رئيس وزراء فارس وكان على قدر كبير من الحماسة إذ أنه لم يطالب بالبحرين فحسب وإنما طالب بجميع إمارات الخليج العربي وذكر بصدد ذلك « إن الشهور السائد لدى جميع الحكومات الفارسية للتعاقبة بأن الخليج الفارسي من بداية شط العرب إلى مسقط بجميع جزره وموانيه دون استثناء ينتمى لفارس وكما هي حقيقة واضحة أن الخليج يسمى خليج فارس كما هو ثابت في جميع المصادر الجغرافية وكتب الرحالة » وأكده ميرزا في مذكرته أن الحكومة البريطانية اعترفت بملكية فارس للبحرين على أثر احتلال القوات المصرية للاحساء والقطيف في عام ١٨٣٩ حينما أكد القنصل البريطاني في الإسكندرية الحمد على بأن البحرين لا تكون جزءاً من الجزيرة العربية وإنها بذلك تابعة لفارس ولذا لن تسمح الحكومة البريطانية لمحمد علي بأن يمد سيطرته عليها (١). وقد أجابت الحكومة البريطانية على ذلك بأنها عارضت محمد علي في ضم البحرين وانسحرت ما ادعته فارس من وقوفها ضد محمد علي إذ أنه كان في ذلك الوقت ثمة احتمال في تحالف يزعم محمد علي عقده مع شاه فارس ضد الإنجليز (٢). وبينما استمرت المجادلات النظرية على هذا النحو اتجهت الحكومة الفارسية اتجاهاً آخر في عام ١٨٦٠ إذ انتهزت فرصة التهديدات التي تعرضت لها البحرين من قبل السعوديين بالإضافة إلى الضغوط البريطانية على شيوخها لكي ترسل بعثة إلى البحرين برئاسة ميرزا مهدي خان الذي أكد للشيخ محمد بن خليفة حماية الحكومة

(١) وثائق عابدين (القلمة جالياً) محافظ الحجاز ١٢٥٥ محفظة رقم ٢٦٧ .
وثيقة رقم ١٣٩ أصلية ٦٦ حمراء من خورشيد إلى الباشماون الحديوي ١٣ أكتوبر سنة ١٨٣٩ .

(٢) Adamyat, op. cit pp. 134 - 136, F . O . 371, 15279, Persian Claim to Bahrein Islands, Foreign secretary to gort of India, 1931 .

الفارسية له . وقرب على ذلك أن أصدر شيخ البحرين من جانبه إعلانين الأول موجهاً إلى الشاه ، والثاني لحاكم شيراز في ١٩ و ١٢ ابريل عام ١٨٦٠ على التوالي . ويتضمن هذان الإعلانان خضوع شيخ البحرين للحكومة الفارسية ، أو كما صرح في أحدهما بأنه يقوم على حكم البحرين بفضل الشاه ، وأن البحرين كانت بل وستكون دائماً جزءاً من فارس ، وأنه يتعهد بدفع جزية سنوية إلى الخزانة الفارسية . وبطبيعة الحال أن الكتاب الفرس يملقون أهمية بالغة على هذه البمئة مؤكدين أنها أثبتت بما لا يقبل جدلاً أحقية فارس في ملكيتها للبحرين ، ولكن الدراسة الفاحصة تثبت أن إعلان شيخ البحرين الولاء لفارس في ذلك الوقت لم يكن ناشئاً عن اعتراف صريح بالسيادة بقدر ما كان نتيجة ظروف طارئة تعرضت لها البحرين فضلاً عن أن ترحيب شيخ البحرين بالبمئة الفارسية كان فيما نعتقد نكاية في الحكومة البريطانية التي تخلت عن حمايته ضد أعدائه ومن بينهم فيصل بن تركي أمير نجد . وما يؤكد ذلك أن فارس لم تستطع أن تحتفظ بهذا الولاء طويلاً حينما بادرت بريطانيا بتوقيع معاهدة ١٨٦١ مع شيخ البحرين والتي ظهر منها تراجمه الواضح عن قبول الولاء الفارسي .

وتميزت السنوات التالية بتدخل بريطانيا الواضح في شئون البحرين ، وكان من أبرز ذلك تدخلها في الاضطرابات التي نشبت بين قطر والبحرين حصول ملكية الزيارة والتي تطورت إلى حرب بين البلدين انتهت بفصل قطر عن البحرين في عام ١٨٦٨ وبادرت بريطانيا على أثر ذلك بتوقيع معاهدة أخرى مع شيخ البحرين مما كان مبعثاً لاحتجاج شديد اللهجة من قبل الحكومة الفارسية التي بادر سفيرها في لندن عمن خان بتقديم مذكرة إلى اللورد كلارندون Clarendon وزير الخارجية البريطانية اعترض فيها على التدخل البريطاني في شئون البحرين وإجبار شيخها على عقد معاهدة مع بريطانيا باعتبار ذلك منافياً لتبعية شيخ البحرين لفارس

تملك التبعية التي أكدها بإعلان الولاء الذي سبق أن أشرنا إليه والذي أرفقه محسن خان في مذكرته الإحتجاجية إلى وزير الخارجية البريطانية ، وقد أجاب اللورد كلارندون على المذكرة الفارسية في ٢٩ أبريل ١٨٦٩ بتصريح شهر علفت عاياه الحكومة الفارسية أهمية كبيرة واتخذت منه دلالة على اعتراف بريطانيا بمطالها على البحرين ، ولذا فقد يكون من المفيد هنا الإشارة إليه ما ذهب إليه كلارندون في رده على المذكرة الفارسية .

أولا : أجاب كلارندون على اعتراض فارس باقية بريطانيا في عقد اتفاقيات مع شيوخ البحرين بقوله :

« أود أن أؤكد لكم أن الحكومة البريطانية تربط بشيوخ البحرين بماهدات فقط من أجل منع القرصنة وتجارة الرقيق والمحافظة على أمن الخليج وأن الحكومة البريطانية يسرها أن تعفي من القيام بهذه الواجبات فيما لو استطاعت الحكومة الفارسية أن تأخذ هذه المهمة على عاتقها » .

ثانيا : أعلن كلارندون بأن الحكومة البريطانية توالى الإحتجاج الفارسي في الوقت الحاضر أهمية خاصة بمد أن تجاهلته في اللازم (١) .

ومع ذلك فإن مذكرة كلارندون على الرغم من تأكيدها بأنها ستولى الإحتجاج الفارسي أهمية خاصة إلا أن المذكرة من ناحية أخرى لم تؤكد صراحة عدالة الادعاءات الفارسية (٢) وفي اعتقادنا أن السبب الذي دفع كلارندون إلى الإدلاء بذلك الآراء كان محاولة منه لتخفيف الآثار المترتبة على تدخل بريطانيا في البحرين

F. O. 248 / 251 / Lord Clarendon's Formula (١)
to British Position on the Bahrein Islands cf.

Clarendon to Mohsin khan 29 April 1869.

(٢) مجيد خدوري — البحرين وإيران ، من منشورات صوت البحرين المدد

ص ٣٠ / ٢٩ .

أو محاولة لاستمالة فارس من ناحية أخرى ومع ذلك فإن اهتمام بريطانيا بالاحتجاج الفارسي لا يمكن اعتباره تسليماً بصحة الادعاءات الفارسية من الوجهة الشرعية خاصة أن كلارندون حينما أولى فارس بمهمة العناية بحراسة الخليج والمحافظة على الأمن كان بشرط ألا يتعارض ذلك مع للماهدات التي عقدها بريطانيا مع شيخ البحرين وغيرهم من شيوخ الإمارات الأخرى ، وبالإضافة إلى ذلك فإن كلارندون لم يكن مخلصاً فيها وعد به الحكومة الفارسية وقد ظهر ذلك واضعاً في معارضته لها في ممارسة نفوذها على البحرين بحجة ما قد يؤدي إليه ذلك من الإخلال بأمن الخليج .

والجدير بالذكر أن المجادلات الفارسية الإنجليزية بشأن البحرين قد توقفت بعد تصريح كلارندون إذ انصرفت الحكومة البريطانية لمواجهة خطر آخر كان يتمثل في تقدم الأتراك العثمانيون إلى الاحساء وقطر والبحرين كما أن توطيد علاقة بريطانيا بشيوخ البحرين عقب توقيع معاهدة ١٨٨٠ كان من شأنه فشل البعثة الفارسية الثالثة التي أرسلت إلى البحرين في عام ١٨٨٦ (١) .

ولم تظهر إدعاءات جديدة من قبل فارس على البحرين في خلال سنوات الحرب العالمية الأولى بسبب ظروف الحرب والأوضاع العسكرية التي فرضت على الخليج واتخاذ البحرين مركز تجمع للقوات البريطانية ، ولكن لم تلبث الادعاءات الفارسية أن ظهرت من جديد في أعقاب الحرب وتمثلت في حملات الصحافة الفارسية ومطالباتها الحكومة والمجلس النيابي في بهارىستان بضرورة المحافظة على المصالح الفارسية في البحرين حتى أن للمجلس النيابي بدأ يناقش بالفعل مسألة تعيين ممثل للبحرين (٢) .

(١) Farrougby, Bahrein Islands p . 90 .

(٢) B. 415 Memo . Question of issue of persian passports or Traveling passess Ilm - o - Khabar to Subjects of Bahrein .

وتؤكد الوثائق التي لدينا اتجاه بعض الفرس لزيارة البحرين والاتصال بالعناصر الفارسية وكذلك بالشيعة الذين هم من أصول فارسية . وفيما يبدو أن الحكومة الفارسية كانت متأثرة إلى حد كبير بالدعاية الشيوعية التي أخذت تستغل الوضع للتنديد بالإمبريالية البريطانية، ففي عام ١٩٢٣ أصدرت الحكومة الفارسية تعليماتها إلى قنصليتها في النجف باعتبار البحارة الذين يزورون الأماكن المقدسة فرسا وبالتالي ينبغي تسجيلهم في القنصلية الفارسية بالنجف قبل ذهابهم إلى العتبات الفارسية المقدسة وتطلق الوثائق البريطانية على هذا التحرك من قبل الحكومة الفارسية اسم حادثة النجف (١) ورداً على ذلك بادرت الحكومة البريطانية بإعلان حمايتها على البحرين في عام ١٩٢٣ كما أصدر الشيخ محمد بن خليفة حاكم البحرين إعلاناً يتضمن اعتراضه على تسجيل رعاياه في القنصليات الفارسية باعتبار ذلك خرقاً لحقوقه الشرعية كحاكم، وأكدهم إقراره بذلك ومعاينة كل بحراني يسجل نفسه في القنصليات الفارسية في العراق بالطرد من البحرين ومصادرة ممتلكاته (٢) .

وفي عام ١٩٢٧ اتخذت الحكومة الفارسية من معاهدة جدة التي وقعتها بريطانيا مع عبد العزيز بن سعود في ذلك العام موقفاً لاعتراضات شديدة إذ اعتبرت أن ما جاء في نص المادة السادسة من المعاهدة المذكورة بمثابة إنكار لسيادتها على البحرين (٣) .

(١) F. O. 371, 17825 cf Historical Memo. on Bahrein, 1934

(٢) F. O. 371, 18942 British Agent, Bahrein to Resident 9 - 9 - 1923.

(٣) جاء في نص هذه المادة أن يتعهد الأمير عبد العزيز بن سعود بعدم المداخلة في الإمارات التي تربطها بريطانيا بمعاهدات خاصة، وقد ذكرت البحرين كواحدة من هذه الإمارات .

الادعاءات الفارسية أمام عصبة الأمم :

ولم يقتصر الأمر على مجرد تبادل للذكريات بين الحكومتين البريطانية والفارسية كما كان يحدث ذلك من قبل وإنما آثرت الحكومة الفارسية أن ترفع للمشكلة إلى عصبة الأمم . وقد ارتكزت الحكومة الفارسية على الادعاءات التالية :

أولاً : أنها كانت تمتلك البحرين في عصور التاريخ المختلفة وأكدت بمدة خاصة على الفترة التي أعقبت طرد البرتغاليين من البحرين حتى وصول آل خليفة إلى الحكم .

ثانياً : أنه لم يحدث لشيوخ البحرين أن كانت لهم أية صفة استقلالية وأن مثلهم كمثل الخانات المحليين في بعض المقاطعات الإيرانية الذين يتوارثون الحكم، وعلى الرغم من أنهم كانوا في بعض الأحيان يتمردون على الحكومة المركزية إلا أنهم كانوا يعودون دوماً إلى الولاء لها .

ثالثاً : أن الحكومة البريطانية نفسها قد اعترفت بقمعية البحرين لفارس بمقتضى معاهدة شيراز عام ١٨٢٢ .

رابعاً : أن للرسائل المتبادلة بين اللورد كلارندون وممثل الحكومة الفارسية لدى بلاط سان جيمس ١٨٦٩ فيها اعتراف ضمني بأحقية فارس في امتلاك البحرين .

خامساً : أن الإتفاقيات الموقعة بين بريطانيا وشيوخ البحرين ليست شرعية إذ لم يحدث للحكومة الفارسية أن تنازلت عن سيادتها لأية دولة أخرى كما أنها لا تعترف بشيوخ البحرين باعتبارهم حكاماً مستقلين يجوز لهم عقد هذه الاتفاقيات .

سادساً : أن شيخ البحرين تمهد في عام ١٨٦١ بالولاء لفارس وأن كثيراً من شيوخ البحرين تمسكوا بهذا الولاء في عدة مناسبات وكانوا يدفعون الجزية السنوية .

سابعاً : قلت الحكومة الفارسية من أهمية الناحية البشرية والجنرافية من ذلك

أن معظم سكان البحرين يتكلمون اللغة العربية وأنها منفصلة عن فارس يحجر واسع
إذ ذكرت أن هذه للسائل يمكن أن توضع موضع الاعتبار حينما تريد دولة أن
تبرر مطالبها لضم أقاليم جديدة إليها وليست للطالبة بإعادة أقاليم كانت أساساً
تابعة لها .

ثامناً : تستند الحكومة الفارسية على المادة العاشرة من ميثاق عصبة الأمم بعدم
شرعية الاعتداء على السيادة الإقليمية لدولة ما (١) .

وقد رد السير أوسطن تشمبرلين وزير الخارجية البريطانية على هذه الإدعاءات
بمذكرة هامة بث بها إلى السفير الفارسي في لندن وإلى عصبة الأمم إنكاراً فيها
على النقاط التالية (٢) :

أولاً : إن تاريخ البحرين كان غامضاً في المصور القديمة ومع ذلك فإن هذا
الغموض لا يعنى سيطرة الفرس على البحرين في خلال الغزوات العربية والمغولية
والتتارية وفوضى المصور الوسطى ، وفي الفترة من القرن الحادى عشر إلى القرن
السادس عشر كان سكان البحرين يخضعون لشيوخ عيلين وقد ذكر الإدريسي الجغرافى
العربى فى النصف الأول من القرن الثانى عشر الميلادى أن البحرين كان يحكمها شيخ
مستقل مما يؤكده قبل الغزو البرتغالى لم تسكن البحرين خاضعة لفارس . وحق
الفترة من ١٦٠٢ إلى ١٧٨٣ التى تدعى فارس سيطرتها على البحرين لم تسكن هذه
السيطرة تمارس بشكل مطلق إذ استمرت البحرين فى أيدي رؤسائها القبليين خصوصاً
من عرب الحولة كما أن أئمة عمان هاجموا البحرين فى سنوات ١٧١٧ و ١٧٢٠ ولم

Cf. League of Nations Official Journal No g 658 M (١)
219 Vol Vif, 1927 .

cf. Sir A. chamberlain's Note of Feb. 1929. (٢)
to the Persian Minister in London F. O. 371, 17825 .

تمد لفارس إلا في عام ١٧٣٧ طى عهد نادر شاه ، وبعد اغتيال نادر شاه ١٧٤٧ وقعت البحرين في أيدي رؤساء عديدين من شيوخ بني طاهر وبني ماهر وشيوخ بوشهر والمسييليين وغيرهم .

ثانياً : أنه في خلال ما يقرب من قرن ونصف من حكم آل خليفة ١٧٨٣-١٩٢٧ لم تمارس فارس سيادتها طى البحرين وإنما مارس شيوخ آل خليفة استقلالهم تماماً .
ثالثاً : أن تصريح كلارندون لم يشتمل طى أدنى اعتراف بسيادة فارس طى البحرين كما فهمت ذلك الحكومة الفارسية .

رابعاً : أن ما تستند عليه الذكرة الفارسية بالمسادة المباشرة من ميثاق عصبة الأمم من أن — اللقاطمة التى تلتقى لدولة مستقلة لا يجوز شرعاً سلبها عنها طالما أن حق للملكية لم ينتقل من هذه الدولة إلى دولة أخرى — استناداً غير صحيح إذ أن التاريخ يحتوى طى أمثلة عديدة توضح أن بعض اللقاطمات نالت إعترافاً باستقلالها من قبل دول أخرى قبل أن يصدر هذا الاعتراف من الدولة الأصلية مثال ذلك أن إسبانيا لم تعترف باستقلال البرتغال عنها إلا في عام ١٦٦٨ مع أنها قد انفصلت عنها بالفعل في عام ١٦٤٠ واعترفت باستقلالها دول أخرى ، كذلك اعترفت كثير من الدول باستقلال الأراضى المنخفضة قبل أن تعترف إسبانيا بذلك في عام ١٦٤٨ .

وكانت لمواجهة بريطانيا للادعاءات الفارسية أثر في عدم وصول عصبة الأمم إلى قرار بشأن البحرين ، كما أن بريطانيا استطاعت أن تقوى مركزها أمام عصبة الأمم (١) وقد بدأت الحكومة الفارسية تأخذ دوراً إيجابياً في البحرين بعد فشلها

F . O . 371, 15353 Memo. on certain Aspects (١)
of the Situation in the persian gulf between his
Majesty's, Govt. in the U%K . & The Persian Govt.,
1931 .

في المجال النظري من ذلك محاولتها إثارة شيعية البحرين ضد الحكومة البريطانية وأسرة آل خليفة ومحاولة الحصول على شهادة من شيعية البحرين تقضي ببقية البحرين لفارس . وينبغي أن نشير هنا إلى أن الحكومة الفارسية كانت تركز على شيعية البحرين باعتبارهم فرسا ولكن الشيعة ، كما هو معروف ، أنباع مذهب إسلامي يوجدون في البحرين كما يوجدون في غيرها فضلا عن أن شيعية البحرين من العرب ويمتثلون عن الفرض في المنصر واللغة ، كما حاولت فارس أيضا إثارة الفتن الطائفية بين السنة والشيعة وإن كان يلاحظ أن ذبوع فكرة القومية العربية أدت في السنوات الأخيرة إلى وجود تماسك بين الشيعة والسنة في البحرين كما أكد ذلك تقرير لجنة تقصى الحقائق التابعة للأمم المتحدة في عام ١٩٧٠ فقد زار علماء الشيعة والسنة مما للبعوث الدولي وأعربوا جميعاً عن موافقتهم على الاستقلال مما أكد عدم تعلق الشيعة بإيران خلافاً لما كان راسخاً في الأذهان (١) .

وقد وضع استئصال الحكومة الفارسية للخلافات المذهبية في عام ١٩٢٨ في تقرير من الوكيل البريطاني في البحرين إلى اللقب البريطاني في الخليج أوضح فيه شدة الدعاية الفارسية في البحرين معتقداً أن يكون الاتحاد السوفيتي ضلع في إثارة هذه الدعاية ضد بريطانيا في البحرين (٢) واستناداً على ذلك اتخذت الحكومة البريطانية عدة إجراءات للحد من الهجرة الفارسية إلى البحرين من ذلك عدم الاعتراف بالخبر وأنه من الضروري حصول الإيرانيين الذين يريدون السفر إلى البحرين على تأشيرات سفر معتمدة من أحد القناصل الإنجليز في إيران وقد

(١) صلاح العقاد : معالم التغيير في دول الخليج العربي ص ٧٠ .

(٢) Major Barrett political Agent Bahrein to the Political Resident in the persian Gulf F. O. 371, 12998 .

احتجت الحكومة الفارسية على ذلك باعتباره يشكل تمديداً للحقوق الإيرانية في البحرين (١)، كما أخذت حكومة البحرين تتخذ إجراءات أخرى كتحريم رفع العلم الإيراني على المدارس الإيرانية وضرورة تسجيل الرعايا الإيرانيين أنفسهم في الوكالة البريطانية في البحرين باعتبارهم أجانب عن البلاد (٢).

وقد شكل النفط وامتيازاته عاملاً آخر من عوامل الاحتجاجات الإيرانية إذ أكدت الحكومة الإيرانية عدم اعترافها بامتياز النفط الذي منح لشركة ستاندارد أوليف أوف كاليفورنيا باعتباره قد منح دون موافقة الحكومة الإيرانية ولذا فإنها تعتبره لا قيمة له Null & void، كما أنها تحتفظ لنفسها بالرجوع أو بالتعويض في حالة الخسارة. كما احتجت الحكومة الإيرانية ضد فصل مجموعة من العمال الإيرانيين من شركة النفط. وتوالى الاحتجاجات الإيرانية حتى أعلنت الحكومة الإيرانية عام ١٩٥١ أن قوانين تأمين النفط تسرى على البحرين (٣).

وتحوى الوثائق البريطانية أمثلة لصور عديدة من وسائل الضغط التي كانت تتخذها الحكومة الإيرانية ضد البعارة الذين يذهبون لزيارة القببات المقدسة في إيران من ذلك إرغامهم على تسجيل أنفسهم باعتبارهم رعايا فرنسا وتطبيق التجنيد الإجباري عليهم كما أقدمت على مصادرة السفن البحرينية وإجبارها على التسجيل

(١) Question of issue of persiau Passports to Subjects of Bahren 1910 - 1928.

(٢) F. O. 371, 13719 clive to chamberlain 29 - I 1929.

(٣) F. O. 371/17825 B. Kazemi, Minister of foreign Affairs Tehran to U. S. Minister 22/5/1932

في اللوائح الإيرانية (١) وإزاء ذلك أصدرت حكومة البحرين في فبراير ١٩٣٧ قوانين الجنسية والملكية وتقضى هذه القوانين بإسقاط الجنسية البحرينية عن الأشخاص الذين قبلوا جنسيات أخرى كما حرم على الإيرانيين ملكية الممتلكات غير للنقولة . وعلى الرغم من أن الحكومة البريطانية كانت وراء إصدار تلك القوانين إلا أنه من الملاحظ أنها كانت تتساهل بهد ذلك في تنفيذ هذه التشريعات إيجاباً لفكرة القومية العربية بهد انتشارها في البحرين ، وتدخلها في إمارات الخليج الأخرى ، كما أخذت الحكومة البريطانية تعمل على إذابة العنصر العربي عن طريق فتح البحرين لمجرات من الساحل الإيراني ، وتشجيع النفوذ الفارسي الثقافي والاقتصادي حتى بدا أن إيران وبريطانيا يتماونان في هدف واحد كرد فعل للانجاء العربي .

وكانت ظروف الحرب العالمية الثانية لها أثر في توقف الادعاءات الإيرانية باستثناء احتجاج واحد قدمته الحكومة الإيرانية ضد إيطاليا في عام ١٩٤٠ نتيجة تمرض البحرين لنصف اللدغمية الإيطالية إذ كانت إيران لا تزال محايدة حتى ذلك التاريخ (٢) وبهد الحرب العالمية الثانية عادت الاحتجاجات الإيرانية من جديد ومع ذلك فلم تتحمس الحكومة الإيرانية لمرض ادعاءاتها على الأمم للتحدة أو محكمة العدل الدولية لإعتقادها بقوة النفوذ الإنجليزي في هاذين الهيئتين . والجدير

Note on Results of Pesian attiude Towards (١)
Bahrein, British Consul, Bushire 1940

Bahrein Nationality & Property laws, 1936, (٢)
F. O. 371/20782.

Humaidan' Ail, Les Princes de L'or Noire P. (٣)
49 see also British Consul Bushire to Resident,
Bahrein 23/10/1940 R/15/1/19/44

بالمذكر أن الدعوة لضم البحرين إلى إيران اتخذت بعد الحرب العالمية الثانية طابعاً قومياً عبر عنه الشاعر الإيراني سردار ناشأت الله خان (١) ، كما وضعت الخرائط الجغرافية التي تؤكد تبعية البحرين لإيران (٢) .

وقد اتخذت إيران من بعض حوادث فردية كان يقوم بها بعض البحارنة بمن تحركهم للولول الإيرانية بمدة مطالب خاصة بايجاد ممثلين من البحارنة في المجلس النيابي وقبول بحارنة الدراسة في الجامعات الإيرانية وإدخال برامج إذاعية خاصة بشأن البحرين ولكن ذلك لا يوضع في البحرين إلا إتجاهها فردياً، وعلى العكس من ذلك ظهرت القومية العربية واضحة في البحرين خلال الحرب الفلسطينية ١٩٤٨ ومساعدة اللاجئين الفلسطينيين ثم ازدادت وضوحاً خلال وقوع العدوان الثلاثي على مصر في عام ١٩٥٦ وفي أعقابها ولم تجد إيران إلا أن تمن في عام ١٩٥٧ اعتبار البحرين جزءاً من الأقاليم الإيرانية باسم الاقليم الرابع عشرو يذكّر يربى بصدد ذلك أن إيران التي رأت عاصفة العروبة تحتاج أقطار العرب حاولت أن تسبق الحوادث فأعلنت ضمها جزر البحرين إلى ممتلكاتها خوفاً من أن يطالب العرب — ولا سيما العراق — بالحمرة وغيرها من المناطق العربية الداخلة تحت حكم الشاه .

على أن التحول في السياسة الإيرانية بدا واضحاً منذ عام ١٩٦٩ بالنسبة للبحرين حينما أعلن الشاه قبوله لحق تقرير للصير في البحرين وفيما يبدو أن الدافع وراء ذلك أن الحكومة الإيرانية وجدت أنه من الأفضل ترك السلطة بيد آل خليفة تدعيماً للأنظمة الحاكمة في المنطقة أو من المحتمل كما يرى البعض أن تكون بريطانيا قد اتفقت مع إيران على أن تترك لها فرصة احتلال الجزر الثلاثة

Extract From Surushi Newspaper 28,1, 1946 (١)
R/15/1/44

persian Claim on Bahrein, Residen cy, Bushire (٢)
to His Majesty's Ambassador 8th june, 1947'

بوموسى وطنب الكبرى والصغرى فى مقابل التخلي عن المطالبة بالبحرين . وفى عام ١٩٧٠ عرضت مشكلة البحرين على الأمم المتحدة التى استقر رأياها على تكوين لجنة لتقصى الحقائق وقد أوضحت اللجنة فى تقريرها مطالبة سكان البحرين بتحقيق الاستقلال الذى تم إعلانه بالفعل فى ١٣ أغسطس ١٩٧١ ولعل وصول البحرين إلى تحقيق استقلالها جعلها أقل إلحاحا فى الانضمام إلى اتحاد الإمارات العربية إذا كان ذلك الانضمام لا يهيء لها ما تستحقه من مركز قيادى فى الدولة الاتحادية .

وأخيرا نود أن نختتم هذه الدراسة بالنأ كيد هنا أن السنوات الأخيرة شهدت ظهور عدة دول مستقلة فى الخليج العربى ، ولكن وجود دول مستقلة ناشئة فى الخليج لا يعنى مخلص المنطقة من رواسب الاستثمار القديم أو مؤثرات الاستثمار الجديد؛ بالإضافة إلى احتمال تجدد الأطماع الإيرانية ، والأمر يتطلب إذن إيجاد للناسخ الصالح لتدعيم استقلال دول الخليج العربى بتسكاتف الدول العربية فيما بينها لسد أى ثغرة قد ينفذ منها الاستثمار وهذا لن يتأتى إلا بالتعاون للعر فى جميع المجالات السياسية والفنية والاقتصادية بين الدول العربية والدول الناشئة فى الخليج العربى .

